398086

تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧

891.72
G42 mAd

12 Sep 68
JAFET LIB.
1 Feb 66
J. Liby
27 OCT 1983
1 Feb 67
JAFET LIB.
1 SEP 1975
JAFET LIB.
11 NOV 1998
Circulation Dept.

891.72
G42m Ad
C.1

غوغول

المفتش العام

ترجمة
صلاح رشدي

دار القلم
بيروت

كتاب الرابطة

سلسلة كتب

صدرت :

مع الناس	حسيب الكيالي
وفي الناس المسرة	سعيد حورانية
المناديل البيض	مواهب الكيالي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى في ١/٢/٩٥٤

مقدمة

عاش الكاتب الروسي الكبير نيقولاي فاسيليفتش غوغول بين عامي ١٨٠٩ و ١٨٥٢ . وقد ولد في اوكرانيا وقضى فيها طفولته وشبابه وكان لها ولشعبها وحكاياتها وخرافاتها اكبر الاثر في انتاجه .

يعد غوغول احد عمالقة الادب الروسي القديم الذين تبناهم العهد السوفياتي الحاضر ، وعمل على إشاعة أدبهم في الناس . وقد تميز بوقوفه موقف المتهم الصلب من العهد المطلق والاقطاعي ، وبخوضه النضال الطويل ضد سلطة المال والقوانين الجائرة ، وضد العلائق الاجتماعية المجحفة في المجتمع البورجوازي .

برز اسم غوغول في عالم الادب في زمن كان كل هم المؤلفين المسرحيين واصحاب المسارح الروسيين فيه ان يقدموا للجمهور قطعاً مسرحية مسلية خفيفة او عامية غليظة في فكرتها وحياكتها . وكان ابطال هذه المسرحيات « المصطنعون » في المواقف الغريبة يلاقون اكبر نجاح لدى جمهور الخاصة الروسي آنذاك — اذ كانت الطبقات الارستقراطية تعجب بالمقطوعات الوطنية الكاذبة التي تمجد الملكية واتباعها الامناء ، وتحيي بالتصفيق والهتاف قطع

«مودفيل» وبخاصة منها الفرنسية، ذات المواضيع الخفيفة التافهة الزاخرة بالتعابير والمواقف الماجنة.

وقد انتقد غوغول بقسوة هذا الاتجاه العام الذي كان المسرح يغذ السير فيه، وكتب في حوالي عام ١٨٣٠ هذه الكلمات التي ما تزال حية حارة حتى في ايامنا هذه: «لقد اضحى الشاذ موضوع الدراما الحالية، فيجب دوماً ان تحاك فيها حادثة جديدة كل الجدة، غريبة كل الغرابة، لم تعرف حتى الآن ولم يسمع بها انسان: قتل، حريق، عواطف وحشية لم تعرفها نفس بشرية في عصورنا الحديثة!». «ان ما تتقصده مقطوعات اليوم هو التأثير المباشر قبل اي شيء آخر، ان تصفع النظارة على حين غرة، ولو لفترة وجيزة، وان تضع تحت انظارهم اكثر الاشياء تأثيراً في النفس: السجن، والاجرام، وكل ما يمكن ان يرعب ويهز، وتستشف منه ظلال عود المشنقة الداميات».

وقد اخذ غوغول على المسرح، في كتابات تنقط مرارة، ابتعاده عن واقع المجتمع المعاصر وصحيح ماهيته. فكثيراً ما كان يتساءل: «اين هي حقيقتنا؟ ونحن، اين نحن، في اهوائهذه الايام وغرائبها؟ ايمكننا رؤية اية من صور حياتنا في مسرحنا! ان مسرحنا يكذب بقحة وبلا حياء.»

ولكي يستقيم وضع ميزان الادب، فينهزم «الابتعاد المطلق عن الطبيعة» الذي كان يشكل نسيج المسرحيات، دعا غوغول لان تكون الحقيقة، وواقعية الحياة، الركنين الرئيسيين للادب، وطالب بأن ينهل الفن «مما يحيط بنا وما لا يمكن

فصله عنا » . كما فهم الملهاة الاجتماعية ، التي كان يعزو اليها اهمية كبيرة ، على انها « صورة حقيقية للمجتمع الذي يتحرك من حولنا . » واذ كان غوغول يبذل قصارى الجهد لمعرفة الاسباب المؤدية الى انماء الفن المسرحي في بلاده وازدهاره ، فقد وجد بثاقب نظره وعميق رأيه ان بلوغ هذا الشأو بالفن القومي لا يكون الا بتصوير الحياة التي يحياها مجتمع بلاده . « اعطونا صفات ومعالم روسية ، اعطونا صورنا الخاصة بنا ، صوراشرارنا، وشواذنا ! دعونا نرهم على المسرح ، وليهزأ منهم جميع الناس » .

وقد كان غوغول يؤمن بان ابداع النماذج والصفات شرط اساسي من الشروط الواجب توفرها للمسرح الواقعي . « في الحق ، ان الزمن قد حان لان نعلم ان تصوير الصفات الشخصية تصويراً حقيقياً ، لا في معالمها العامة والمعارة ميكانيكياً ، بل في شكلها القومي المحدد الذي تثير صورته المفعمة بالحياة شعورنا وتجعلنا نقول : « اجل ، اعتقد اني اعرف هذا الرجل » — ان مثل هذه الصورة فقط يمكن ان تكون حقاً ذات فائدة . »

***

في شهر تشرين الاول من عام ١٨٣٥ ارسل غوغول مسرحيته « الزفاف » الى بوشكين يسأله رأيه فيها وكتب اليه ما يلي : « اعمل معي معروفاً ، اعطني موضوعاً ما، مضحكا بعض الشيء او غير مضحك اطلاقاً ، ولكن ليكن روسياً صميماً . إن يدي لترتجف رغبة في كتابة ملهاة مضحكة خلال هذه الفترة.

فاذا لم انجح في ذلك ، فمعناه اني أضعت وقتي سدى . اعمل معي هذا المعروف ، اعطني موضوعاً ؛ فبنفس واحد ، أجعل منه ملهاة في خمسة فصول ، وأقسم لك انها ستكون مضحكة اكثر من الشيطان نفسه » . وقد أرسل بوشكين فكرة « المفتش العام » الى غوغول ، رغم انه هو نفسه كان يفكر في كتابة هذا الموضوع بالذات . . وجاءت نصيحته بكتابة هذه الملهاة عن مفتش مزعوم اجمل نصيحة واروعها ، اذ سمحت لغوغول بأن يجسد في شخوصه وفي تصرفاتهم جميع ما قضى من وقت في ملاحظته واختزانه عن الحياة البيروقراطية في عالم الوظائف والموظفين .

هكذا اعتكف الكاتب وجعل يعمل بحماسة مبدعة بالغة على تحقيق ملهاته . وبعد شهرين من وصول رسالة بوشكين اليه ، كتب الى صديقه الناشر بوغودين يعلمه انه انتهى من كتابة القطعة . على انه لم يكن راضياً عنها الرضاء التام فعاد بعد ستة اسابيع يعتذر عن عدم ارسال النص الى بوغودين نفسه بحجة « اعادة النظر في عدة مشاهد . » وبعد شهر آخر كتب اليه يقول : « انني منشغل الآن بتهيئة الخطوط الرئيسية لكيفية اخراج الملهاة . ولا ارسل اليك نسختها لأني اغير فيها وابدل في كل حين » .

ولقد مثلت الرواية في عام ١٨٣٦ ، وكان غوغول يعاود النظر فيها حتى اثناء تمارين الممثلين ، ويغير كثيراً من المواقف حتى بعد ان وافقت هيئة المراقبة الحكومية على النص الذي عرض عليها . بل ان الكاتب ادخل على روايته تعديلات اخرى

لدى طباعتها للمرة الثانية عام ١٨٤١ وتعديلات اخيرة لدى طباعتها للمرة الثالثة عام ١٨٤٢ - واذا كان هذا كله يدل على شيء فانما يدل على مقدار الاهتمام الذي كان غوغول يوليه ملهاته الاجتماعية هذه .

وانقضى على وضع « المفتش العام » في صيغتها النهائية عشرات السنين ، ولكن همة النقاد الرجعيين لم تفتر في شتم المؤلف . فكم من لعنات صبت عليه ، وكم من افتراءات وجهت الى الكاتب الواقعي الكبير . وحاول بعضهم ، في ذات الوقت ، وفي اكثر من مرة ، أن يفسر « المفتش العام » حسب ذهنية العقيدة الرجعية . ألم يجسر احدهم في كتاب له عن غوغول على القول : «ان المفتش العام » في الواقع ، تمجيد للسلطة الرسمية ، واحد شخوصها ، رغم أنه غير مرئي في الملهاة ، هو « العين الساهرة » لهذه السلطة » . وقد وقع مؤلفون آخرون ، عن قصد او غير قصد ، في هذه الخطيئة بالذات . اذ ظن بعض المعقبين ان الكاتب لم يكن يهدف الا الى انتقاد مبالغات بعض الحكام الريفيين في استعمال سلطاتهم ، ولو ان هذا الانتقاد لبعض الحالات الخاصة قد اشتمل ، على الرغم من اراده الكاتب ، على معنى عام اوسع بكثير من المقصود . ولكن مثل هذا التفسير لا يمكن في الحقيقة ان يكشف عن المغزى الفكري العميق للملهاة وعن الخواص الفريدة التي تتمتع بها صورها . ولقد كتب غوغول نفسه في «اعترافات مؤلف» يصف تطور نموه الفني ، فيذكر كيف انه كانت لديه في بعض فترات حياته فكرة محددة عن عمله : « اذا كان للمرء ان يضحك ، فيحسن به ان يضحك جيداً وان يهزأ مما

يستأهل الهزء العام . لقد قررت في مسرحيتي « المفتش العام » ان اكدس كل ما كان في روسيا من شر ، كل الشر الذي كنت اعرف آنذاك ، كل الظلم الذي يقع في جميع الاماكن وفي جميع الحالات التي يطلب فيها خاصة الى الانسان ان يكون صادقاً مستقيما ، وذاك كيما أهزأ منها جميعاً اعمق الهزء وأشمله ».

وقد وضع الكاتب حوادث المسرحية في مدينة ريفية صغيرة ، وجعل من الموظفين الريفيين ابطالا لها . وقد يبدو ان العناصر التي اختارها لا تسمح باظهار « كل الشر » . غير ان الكاتب لم يأخذ مدينة صغيرة لتكون غرضاً لمهاته ، الا وهو يقصد شيئاً ما . ذاك ان استحالة الكلام عن امور اكثر اهمية من هذه التي حبس نفسه داخل اطارها ، قد اضطرته للالتجاء الى صور حكام المدن الريفية ، حيث كان يشعر كامل الشعور باتساع الشر وعمقه في مجتمع عصره . وبعد نشر « المفتش العام » ، اتهم غوغول مع ذلك بالعمل على دك اسس النظام القائم ، فكتب يقول في احدى رسائله : « تظن العاصمة انها شتمت لان احد الافراد اظهر ، على شكلها العاري ، عوائد ستة موظفين ريفيين ، ماذا كانت تقول العاصمة لو ان احدهم اظهر ، ولو بعض الشيء ، عوائدها هي ؟ ». ان الموضوع الذي اخذه غوغول عن حياة الريف قد سمح له ، الى حد ما ، بتفادي العقبات التي تقيمها المراقبة ، وكانت لديه عنها فكرة واضحة مذ كتب مسرحياته السابقة ...

ومن الثابت ان غوغول عندما خلع القناع عن وجه النظام الاجتماعي السائد ، لم يكن يقف موقف الداعي الى تطوير المجتمع

تطويراً ثورياً . فقد كان يؤمن بانتصار العدالة المجردة منذ ان يفهم البشر النتائج الخبيثة التي يؤدي اليها «الشر» ، كما كان يتوهم ان رئيس البلاد الاول ، القيصر ، رجل فوق الجماعات والطبقات الاجتماعية ومدافع امين عن مصالح الامة والشعب . على ان امانة الكاتب في تصوير حقيقة الحياة جعلته يكشف القناع عن الجرائم والرذائل ويقلب اوهام نفسه بنفسه . أجل ، لقد ابدع عملاً فنياً ، يحمل الصفة الثورية بصورة جلية .

هنالك اخيراً ناحية هامة طلعت بها على الادب مسرحية « المفتش العام » . ذاك ان غوغول في هذه المسرحية قدعارض المبادىء القديمة التي تقوم عليها الملهاة الاخلاقية او الخفيفة ، بمبادىء جديدة هي مبادىء الملهاة الاجتماعية الواقعية . ففي الملهاة وفي القصة الاخلاقيتين ، وكانتا شائعتين جداً في حوالي عام ١٨٣٠ كان **البطل السلبي** يحمل دوماً رذائل ومساوىء لا تجد لها قط اي تفسير من وجهة النظر الاجتماعية . فكان الكتاب يظهرون هذه الرذائل على انها اخطاء محزنة يرتكبها البطل ، على انها شذوذ عن القاعدة ، او على انها نقص خاص في الطبيعة البشرية ، فهي لهذا شيء عام . وفي الحالين ، لم تكن الملهاة الاخلاقية تلامس المنابع الاجتماعية للرذائل البشرية ، ولم تكن لصورها صفة النموذجية .

اما ابطال غوغول فهم سلبيون ايضاً ولكنهم ليسوا شواذ ولا مجازيين ، بل تتجمع فيهم الصفات الحقيقية الحية التي كان يتمتع بها اهل زمان غوغول . فالصورة الاجتماعية للابطال تأخذ

مكان الصدارة من « المفتش العام » وتشكل الخاصة الفريدة التي تتميز بها هذه المسرحية . كما ان النشاط الاجتماعي للشخوص يقوم مقام المحك الذي يسمح آخر الامر بتقدير الصفات الفردية التي يتمتع بها كل منهم . وقد جاء ابطال الملهاة كريهين منفرين لان نشاطهم الاجتماعي كريه مرذول ، وينتهون الى الفشل بسبب شذوذهم التاريخي والاجتماعي ، لا شذوذهم الطبعي .

* * *

ان تصوير « الحقيقة وواقعية الحياة » الذي كان يدعو اليه الكاتب الروسي الكبير منذ نيف ومائة عام جميع ادباء وفناني عصره ، هو ذات الهدف الذي ينشده الكتاب الطليعيون اليوم في انحاء العالم كافة . وعندما يقف رجال الفكر الواعون المخلصون من العرب في صف ادب الالتزام ، فانما يكملون تقليداً انسانياً رائعاً لم يبدأه غوغول ، لانه قديم قدم المحبة ، بل كان احدى حلقاته البراقة الصلبة . وان عودة صغيرة الى ما اوردنا في هذه المقدمة من كلمات غوغول تدلنا بوضوح على مبلغ آنية هذه الكلمات وجدتها الدائمة . فأفلام هوليود وتلك التي تحاكيها في القاهرة ، هل هي — بدورها — سوى استمرار لمسرحيات العهد القيصري الزاخرة « بالقتل والحريق والعواطف الوحشية » ؟ وهذا الادب الخفيف والروايات البوليسية ونشرات الـ Comics والسوبرمان التي تزخر بها اسواق الولايات المتحدة وتزود بها العالم ، هل هي سوى متابعة منطقية لاسوأ ايام العهد القيصري

في روسيا وعهود التفسخ في ارجاء اوربا ؟

ان ميراث عهود الظلام الذي دعا غوغول الى نبذه ما يزال قائماً ، نشيطاً الى حد الهستريا ، يعمل بلا كلل للتضليل والتنويم ، وطليعيونا يقفون وحدهم في وجهه اقوياء بثقة الجمهور ووعيه، امناء لرسالتهم ، مقدرين عظم المسؤولية التي تقع عـــلى كاهلهم . انهم ينتظرون في كل آن بروز غوغول عربي حديث من بـــين صفوفهم .

ص . د .

اشخاص الرواية

انطون انطونوفيتش سكفوزنيك – دموخانوفسكي : حاكم مدينة (١)

انّا اندرييفنا : زوجته

ماريا انطونوفنا : ابنته

لوكالوكيتش خلوبوف : عميد الكلية

زوجته

امّوس لوكيتش ليابكين – تيابكين : القاضي

آرتيمي فيليبوفيتش زمليانيكا : رئيس ملاجىء الاحسان ، والاصلاحية ، الخ .

ايفان كوزميتش شبيكين : مدير البريد (للمراسلات والجياد)

بيتر ايفانوفيتش بوبتشنسكي
بيتر ايفانوفيتش دوبتشنسكي } وحيهان من الملاكين

---

(١) الحاكم هنا موظف يجمع ما بين المهام الادارية والسياسية ، وتقابل الكلمة عندنا تقريباً وظيفة مدير الناحية .

ايفان الكسندروفيتش خليستاكوف : مستخدم في احدى الوزارات في بطرسبورغ

اوسيب : خادمه

كريستيان ايفانوفيتش هوبنر : الماني ، طبيب الناحية

فيدور اندريفيتش ليوليوكوف
ايفان لازاريفيتش راستاكوفسكي
ستيبان ايفانوفيتش كوروبكين
} موظفون محالون على التقاعد ، يؤلفون نخبة المجتمع الراقي في المدينة .

ستيبان ايليتش اوخوفرتوف : مفتش الشرطة

سفيستينوف
بوغافيستين
درجيموردا
} من جلاوزة البلدية

عبدولين : تاجر

فيفرونيا بتروفا بوشلبين : زوجة صانع اقفال

ميشكا : خادم الحاكم

زوجة وكيل ضابط

ندل في فندق مكتظ بالزوار

زوار ، تجار ، الخ ...

صفات وملابس

بيـان للممثلين

الحاكم : رجل ادركته الشيخوخة وهو يعمل في الادارة ، وليس هو بالاحمق ، تراه يستطيع التصرف باتزان رغم حبـــه للرشوة والهدايا،هو موظف رصين ويطلق احكامه احياناً بالشكل الصحيح. اذا تكلم لم يكن صوته بالمرتفع او الخفيض ولا يسرف في القول او يقلل . لكل من اقواله معناه الخاص . وهو بملامحه القاسية الفظة يشبه اولئك الذين ابتدأوا خدمتهم في الدرجات الدنيا لعمل مضن . تراه ينتقل سريعاً من الرعب الى المرح ومن الدناءة الى المرفعة كما ينتقل امرؤ ذو ميول منحطة وخسيسة . يلبس اللباس الرسمي وقد احكمت ازراره كما يلبس الجزمة ذات المهماز ، شعره قصير وخط، الشيب .

أنا اندرييفنا : زوجة الحاكم، ريفية متظرفة، يتراوح عمرها بين الشباب والكهولة . ربيت في شطر من حياتها بين الروايات ومجموعات الصور وامضت الشطر الآخر بـــين ثرثرة الطباخات والوصائف . شديدة الفضول ، متبجحة اذا ما حانت الفرصة ، لها بعض السلطة على زوجها لا لشيء الا لانه لا يجد ما يجيبها به.

على انه قد يساء استعمال هـــذه السلطة فتستحيل تقريعا وهزءاً . تتير تسريحتها اربع خلال التمثيلية .

خليستاكوف : شاب في الثالثة والعشرين من عمره رقيق نحيف احمق بعض الحمق ، قليل الثقافة . هو مستخدم صغير في احدى القنصليات وليس من الذين نسميهم « نكاشين » يتكلم ويعمل دون تميز وقد يبدي احياناً شيئاً من الذكاء والشدة . اذا تكلم كانت جملة متقطعة وخرجت الكلمات من فمه بغتة . وكلما ابدى الممثل الذي يقوم بهذا الدور سذاجة وبساطة كان توفيقه اكبر بأدائه ملابسه على آخر طراز .

أوسيب : خادم كما يكون الخدم عادة اذا ما بلغوا سناً معينة . يتكلم ببطء وينظر الى اسفل وهو فطين يحاكم الامور في ذهنه ويجب ان يلقن سيده العبر والعظات . اذا تكلم أخرج صوته غليظاً في اغلب الاحيان واذا حادث سيده فان صراحته الفظة في التعبير قد تنقلب الى سفاهة . ذكاؤه احد من ذكاء سيده وهو يتنبأ سريعاً عن حقيقة الاشياء ، ولكنه قلما يجب ان يتكلم . خبيث صموت ، يلبس معطفاً رماديا او ازرق بلي قليلا .

بوبتشنسكي ودوبتشنسكي : كلاهما وضيع منحط وجد فضولي . يشبهان بعضهما كل الشبه . فهما الاثنان بطيئان قليلا ، مكثران من التمتمة ومن حركات اليـــد والاشارات . الثاني اطول من الاول واكثر رصانة ، الا ان الاول اكثر حيوية وطلاقة .

ليابكين ـ تيابكين : القاضي . قرأ خمسة كتب او ستة

فهو لهذا ممن لا يلحق لهم غبار . صياد كبير كما يبدو بسهولة من رنة الاهمية التي يعطيها لكل من كلماته . وعلى الممثل الذي يقوم بهذا الدور ان يبدي هذه الصفة دوما على وجهه يتكلم بصوت خفيض وهو يمط الكلمات ويشخر ويبصق ، كساعة الجدار القديمة التي تفح قبل ان تدق الساعات .

زملیانیکا : سمين ضخم ، سيء التصرف أخرق ، غير انه دساس ولص . له خدمات طويلة وحماسة لا تنضب .

مدير البريد : رجل بسيط الى درجة السذاجة .

ان الادوار الاخرى لا تحتاج الى تعليمات خاصة ، فالشواذ من الناس قد يلتقي بهم المرء في كل حين .

يجب على السادة الممثلين ان يولوا المشهد الاخير عناية كبيرة. فالكلمة الاخيرة يجب ان يكون لها في الجميع دفعة واحدة اثر الهزة الكهربائية . على الجماعة كلها ان تغير وضعيتها في الحال ، وعلى كل فرد ان يرسل في ذات الوقب صيحة اندهاش ، كما لو ان هذه الصرخة كانت خارجة من صدر واحد . فاذا لم تنفذ هذه التوصية ضاع التأثير المطلوب كله .

•

الفصل الاول

قاعة في بيت الحاكم

المشهد الاول

الحاكم ، رئيس الملجأ الخيري ، عميد الكلية ، القـــاضي ، مفتش الشرطة ، الطبيب ، اثنان من شرطة البلدية .

الحاكم : دعوتكم ، ايها السادة ، لانقل اليكم نبأ لا يسر . فسيصل الى بلدتنا مفتش عام .

القاضي: كيف ذلك ؟ مفتش ؟

الحاكم : مفتش عام ، من بترسبورغ ، وسيأتي خفية . ولاحظوا جيداً انه يحمل معه تعليمات سرية .

القاضي: أرأيتم الى هذه الحكاية !

الرئيس: كأنما لا تكفينا المزعجات التي عندنا . — وهذا ايضاً يأتينا لتتم المسألة !

العميد : لطفك يا رب ! وتقول انه يحمل تعليمات سرية !

الحاكم : لقد كنت استشعر ذلك مسبقاً في قرارة نفسي . وهذه الليلة ، قضيتها وأنا احلم طوال الوقت بجرذين عجيبين. لم أر لهما في حياتي مثيلا ... سوداوين ... هائلي الحجم! وقد أتيا ... يتشممان ... ثم ذهبـــا . — اسمعوا ، فسأقرأ عليكم رسالة تلقيتها لساعتي من اندريه ايفانوفيتش تشميكوف . انك تعرفه ، يا آزتيمي فيليبوفيتش . وهذا ما يقوله لي : « يا صديقي العزيز ، وزميلي والمحسن الي ... » احم! (يغمغم وهو ينقل انظاره في الرسالة) « ... فاخطرك ... » آه ! هوذا . « واسارع قبل كل « شيء فاخطرك بأنه قد سافر اليـــوم موظف مهمته « تفتيش المحافظة كلها وبخاصة ناحيتنا . (يرضع اصبعاً « في حركة معبرة .) وقد عرفت الامر من اناس ثقة . « وسيظهر نفسه على صورة شخص عادي ، ولكن تأكد « بان عليه ان يفليك تفلية ، ومثلك في هذا مثل الاخرين « اجمعين ، لانك رجل ذو فطنة لا يترك للضياع مـــا « يحمله النهر ...» احم ! (يتوقف .) هذا حق ... « — وعلى هذا فانصحك ان تتخذ احتياطاتك ، لانه قد « يصل بين الآونة والاخرى ، هذا اذا لم يكن قد استقر « في مكان ما من محلتك خفية ... البارحة ... » هيه ! هذه قضايا عائلية ... جاءت شقيقتي كيريلوفنا لزيارتنا صحبة زوجها . وقد سمن ايفان كيريلوفيتش أيما سمنة .

وهو ما يزال يعزف على الكمان ، الخ .. ، الخ . ، انكم تعرفون الآن مجمل القضية .

القاضي : هذا غريب ، غريب كل الغرابة ... انه لا يأتي لوجه الله .

العميد : لمَ هذا يا انطون انطونوفيتش ، لم يأتينا مفتش عام ؟

الحاكم : وما نفعل ، انه قضاء من عند الله . (يتنهد .) لقد وقع حتى الآن على مدن اخرى . واليوم جاء دورنا .

القاضي : انني اتصور ، يا انطون انطونوفيتش ، بان وراء ذلك لغزاً صغيراً .. من السياسة ايضاً . اتعرفون علام يدل هذا الامر ؟ ان روسيا .. اجل .. تريد ان تخوض غمار الحرب ، وان الوزارة ، اترون معي ... اجل ، انها ترسل موظفاً ليرى ما اذا كان ثمة رسل للاعداء في مكان ما .

الحاكم : عجباً لما تقول ! انك لساذج حقاً ! رسل للاعـــداء في مدينة داخلية ! هل نحن على الحدود ؟ ان بوسع الانسان ان يسافر مدى ثلاث سنوات ابتداء من هنا دون ان يصل الى البلاد الاجنبية .

القاضي : وانا اقول لكم .. انكم لا .. كلا ، انكم .. ان للحكومة خطتها .. قد تكون بعيدة .. الا انها تعرف ما تفعل .. والفأر يلعب في عبها .

الحاكم : فأر ام غير فأر ، لا يهم ، فقد نبهتكم ، ايها السادة . انكم الان على بينة من امركم . اما فيما يخصني ، فقـــد اتخذت بعض التدابير ؛ ونصيحتي اليكم ان تفعلوا مثلما فعلت . وخاصة انت ، يا آرتيمي فيليبوفيتش . اذ لا

بـــد من ان يرغب مفتشنا في رؤية جميع مؤسسات الاحسان التي ترئسها . وعلى هذا ، فيحسن بك ان تتدبر امرك بشكل يبدو معه كل شيء على افضل ما يرام ... ليكن لكل فرد قبعة من القطن الابيض ، واعمل على الا يبدو المرض اشبه بمنظفي المداخن ، كما هي العادة .

العميد : قبلت مشروع القبعات البيضاء. هذا ليس امراً جد عسير.

الحاكم : اجل ؛ ويجب ان يُعلق على كل سرير لوحة باللاتينية او اية لغة اخرى . — (للطبيب .) هذا من اختصاصك ، يا كريستيان ايفانوفيتش . — اجل ، لكل مريض : تاريخ مرضه .. وفي اي يوم ، مع رقم .. ثم ان مرضاك يدخنون تبغاً بلغ من القوة بحيث يعطس الانسان بمجرد دخوله .. اجل ؛ والافضل ان يكون لديكم عدد اصغر من المرضى ؛ لان الزائر لن يتوافى عن القول بان السبب تقصير في العناية من جانب الادارة ، او نقص في علم الطبيب .

الرئيس : اوه ! اما فيما يختص بالعلاج ، فقد اتفقت عليـــه مع كريستيان ايفانوفيتش . اذ كلما اقتربنا من الطبيعة ، نحسن سير الامور ! اننا لا نستعمل العلاجات الغالية الثمن . فالانسان كائن بسيط. فاذا مات ، مات ؛ واذا شفي ، شفي . هذا عدا عن انه يصعب على كريستيان ايفانوفيتش التفاهم مع المرضى ، باعتبار انه لا يفقه كلمة واحدة من الروسية .

(يصدر من الطبيب صوت بين « إي ، إي .» و « أو ، أو . »)

الحاكم (للقاضي): وانصحك انت ايضاً، يا آمّوس فيدوروفيتش، ان تأخذ حذرك في المحكمة . ففي قاعة الانتظار عندك، مثلا – حيث يجلس المرافعون – يضع خادم مزرعتك اوزانك وافراخها ، التي تأتي لتنقنق بين اقدامك . ولا ريب في ان من الخير للانسان ان يهتم بشؤونه البيتية . ولا ريب كذلك في ان جماعتك يحسنون صنعاً اذ يحرسون اوزانك ... الا انك ترى ، انه يحسن بك في هذا الموضع ان ... لقد كنت ارغب في ان احدثك في هذا منذ زمن ، ولا اعلم كيف نسيته ...

القاضي : حسناً ! فسآمر بارسالها جميعاً الى المطبخ . هل ترغبون في تناول طعام العشاء عندي ؟

الحاكم : ايوه ! ثم هناك قاعة المحكمة عندك ، انه ليغيظني ان اقول لك ، انها لا تدار كما يجب . انها تشبه ، لا اعلم اي شيء . فثمة سوط من الجلد على المكتب ، مع الاوراق ! انني اعلم بانك تهوى الصيد ؛ وهذا حسن جداً ، الا انك تفعل حسنا ، في الوقت الحاضر ، اذا رفعت هذا السوط، وبوسعك ان تعيده اذا اردت عندما يرحل المفتش . وهناك ايضا معاونك .. فقد يكون رجلا ضليعاً في اختصاصه ، الا انه ينشر رائحة ... يظن الانسان معها دوما بانه خارج من معمل للتقطير . وعلى هذا فهو عديم الفائدة . وكنت ارغب منذ عهد طويل

في ان اكلمك بشأنه ، ولا اعلم من ثم كيف غاب ذلك عن ذاكرتي . وعلى كل حال ، هنالك اساليب لمداورة القضية ، كما يزعم ، تجعل لنفسه رائحة « ماء الحيـــاة » الطبيعي . ويمكن ان يشار عليه بأكل البصل او الثوم ، او اي شيء آخر . فهنالك ادوية لهـذا الشيء ، اليس كذلك ، يا كريستيان ايفانوفيتش ؟

الطبيب : إي ، إي ، او ، او .

القاضي : لعمري ، انني لا اعلم حقاً ان كانت هنالك طريقة . فهو يقول انها ضربة تلقاها وهو في سن الرضاع ، وانـــه ، منذئذ ، ينشر رائحة ماء الحياة .

الحاكم : حسبي مما اقول اخطارك وتنبيهك . اما عن النظام السائد هنا ، وقضاياك الداخلية التي سيأتي من يفليها ، كما يقول اندريه ايفانوفيتش ، فانا لا اعلم عنها شيئاً . والحق انه ليس هنالك انسان الا ويمكن ان نجد عنـده ما يستحق التفلية . غير ان العناية الالهيـــة هي صاحبة الارادة في ان يكون الامر كذلك ، وقـــد يتقول المنزهون المطهرون الاقوال الكثيرة ، ولكنهم لن يغيروا في الامر شيئاً . فلكل خطيئاته .

القاضي : ما هي الخطيئة في نظرك ، يا انطون انطونوفيتش ؟ فالخطيئات تختلف ، وانا مثلا لا اخفي بانني افسح المجال لتقديم الهدايا اليّ ؛ ولكن ما هي هـــذه الهدايا ؟ انها صغيرة تافهة . ما اعجب هؤلاء المتقولين والحساد !

الحاكم : تافهة ام غير تافهة ، هي هدايا على كل حال .

القاضي : هيا ، هيا ، يا انطون انطونوفيتش ... لا اقول مثلا ، انه اذا افسح رجل المجال لاهدائه معطف فرو يساوي خمسمائة روبل ، وشالا لزوجته ، فان ...

الحاكم (غاضباً) : حسناً ! اتعلم لم تأخذ انت هدايا تافهة ؟ ذاك انك لا تؤمن بالله . فلا تذهب قط الى الكنيسة ؛ اما انا فعندي على الاقل ، شيء من الدين ، اذ اذهب في كل أحد الى الصلاة . وانت ... هيا ، فانا اعرفك . وعندما تخوض في الحديث عن الطريقة التي وجـــد بها الكون ، ينتصب شعري انتصاباً فوق الرأس .

القاضي : ماذا تبغي ؟ فلكل منا رأيه .

الحاكم : هذا جميل ! وانا اقول انه عندما يتمتع الانسان بالكثير من الفهم ، فذاك اخبث مما لو كان محروماً منه . وبعد، فلا احدثك الا عن محكمة الناحية ؛ والحق انه ليس ثمة من يفكر بان يقمم انفه فيها . فهي موضع محصن والآله ذاته يشملها بحمايته . (الى الرئيس .) ولكن انت ، يا لوكالوكيتش ، فبوصفك رئيساً للاكاديمية ، يجب ان ترقب اساتذتك . وانا اعلم انهم اناس مثقفون ، تلقوا العلم في الكلية ، غير ان هذا لا يمنع من كونهم يقومون ببعض التصرفات الغريبـة ، الـتي لا تتلاءم بالطبع مع حالهم كاساتذة . فلديك واحد منهم مثلا، هو هذا الجسيم ذو الخدود المنفوخة .. ولا اذكر اسمه .. فما ان يصعد

الى المنبر ، حتى يتصنع تكشيرات لا يملك ان يرد نفسه عنها . فتراه يفعل هكذا . (يتصنع تكشيرة) ثم يروح يضع يده على ربطة عنقه ، ويعود فيحك ذقنه . ولندعه يتصنع هذه التكشيرات امام الطلبة ، فقد تمر بسلام ، وقد يكون ذلك ضروريا للاستاذ ، وانتم تعرفون ذلك خيراً مني ؛ غير انني احتكم اليكم في الامر ، فاذا راح يفعل هكذا وهكذا امام المفتش ، فقد تنقلب المسألة شر منقلب . اذ لا يبقى للسيد المفتش العام ، او اي انسان آخر ، الا ان يظن باننا جئنا نهزأ منه ، ويعرف الشيطان بعد ذلك على اي محمل سيأخذ القضية .

العميد : ولكن ماذا افعل في هذا ؟ وحق الرب ، انني كلمته في فعلته هذه فيما مضى . ومنذ عهد ليس ببعيد ، عندما جاء الفاحص ، كشر امامه تكشيرة لم ار لها في حياتي مثيلا . واعلم انه لا يفعل ذلك عن خبث ، ولكنهم يعنفونني ؛ ويقولون لي انـــه يجب الا تغرس عوائد التحرر في نفوس الشبيبة .

الحاكم : ويجب ان احدثك ايضاً عن استاذ التاريخ عندك . فان له رأساً صلبة ، محشوة على خير وجه ، وهـــذا امر باد للعيان . وقـد دخل في ضباب العلم ، الا انـه يحمل في تفسيراته ناراً مؤججة ، فلا يعود يتنبه معها الى شيء . في احدى المرات ، ذهبت استمع اليـه . فحدثنا عن الاشوريين والبابليين ... لا بأس . ولكن ما لبث

ان جاء الى حديث اسكندر المقدوني ، ومن ثم فليس بوسعي ان اسرد لكم جميع ما فعل . فقد تخيلت ان النار دبت في منبره . كان يضطرب في مكانه ، ويغادر كرسيه ، ويحرك مقعده . انني اعلم تمام العلم ان اسكندر المقدوني بطل من الابطال ، الا ان ذلك ليس سبباً لتحطيم الكراسي . وهكذا بعد ، تساق الدولة الى انفاق النفقات .

العميد : اجل ، انه يتحمس اكثر من اللازم . وقد حدثته في ذلك ... فأجابني : كما تحب وتشتهي ، غير انني اضحي بنفسي في سبيل العلم .

الحاكم : عال ! عال ! ولكن كيف نعرف ان كان رجل فكر ، ام سكيراً يكشر تكشيرات تبعث الرعب في قلوب القديسين ! (١)

العميد : ليساعدنا الرب ! آه لو انكم عرفتم ما هو التعليم ! انا ذاتي ، اموت من الرعب . ففي مادة التعليم ، يسلك كل نهجه ، ليرى الآخرين بانه رجل فكر .

الحاكم : ما كان لهذا كله من قيمة ، لولا هذا المتخفي اللعين . تخيلوا انه سقط بيننا : — « آه ! اولاء انتم ، يا خداعين؟

---

(١) في الروسية : « تذهب بالصور المقدسة » ففي البيوت صور للقديسين مؤطرة ، ولا يطيق الاتقياء من الناس ان يسمح احد لنفسه باتيان فعل مناف للحشمة امام هذه الصور .

من القاضي هنا ؟ – السيد ليابكين – تيابكين . – تقدم الى هنا ، يا ليابكين – تيابكين . – من منكم رئيس مؤسسات الاحسان ؟ – السيد زمليانيكا . – تقدم ، يا زمليانيكا . » – ان هذا لمن عمل الشيطان .

المشهد الثاني

السابقون ، مدير البريد

مدير البريد : حدثوني يا سادة ، ارجوكم ، ما هـذا المفتش الذي سيأتي بلدتنا .

الحاكم : وهل تعرف شيئا في الموضوع ؟

مدير البريد : ان بيتر ايفانوفيتش بوبتشينسكي هو الذي ابلغني النبأ . وقد كان في مكتبي قبل قليل .

الحاكم : حسناً ! وما تقول في ذلك ؟

مدير البريد : ما اقول في ذلك ؟ اقول اننا على وشك محاربة الاتراك .

القاضي : آه ! هذا ما فكرت فيه بالضبط .

الحاكم : ايه ! نعم نعم . لقد دخلتم لب الموضوع .

مدير البريد : نعم ، الحرب مع الاتراك ، وسيموت الفرنسيون غيظاً .

الحاكم : الحرب مع الأتراك ! ايه لا ، فعلينا نحن لا على الاتراك ستعلن الحرب . الامر ثابت ، ولدي هنا رسالة تشهد بذلك .

مدير البريد : آه ! طيب ، معنى ذلك ان الحرب لن تعلن على الاتراك .

الحاكم : طيب ، وانت ، اين انت من هـذا كله ، يا ايفان كوزميتش ؟

مدير البريد : وكيف تريدني ان اكون ؟... وانت ، يا انطون انطونوفيتش ؟

الحاكم : انا ؟ لست بالخائف ، غـير ان الامر يثير اهتمامي . فالتجار والاغنياء يقلقون بالي . انهم يقولون انني سلخت جلودهم ، ويشهد الله اني اذا كنت قـد اخذت منهم شيئاً ، فبدون ما خباثة او مكر . انني اتصور (**يأخذ بذراعه ويسوقه الى الطرف الآخر من المسرح .**) أتصور ان هناك من افشى اسراراً موجهة ضدي . اذ ، ما السبب آخر الامر في ارسال مفتش عام الينا ؟ اسمع يا ايفان كوزميتش ، الا يسعك ، خدمة لمصلحتنا جميعاً .. اعني جميع الرسائل المـارة بمكتبك ، في الارسال والورود .. الا يسعك ان تفتحها قليلا ، اتفهم ما اقول ، وان تقرأها ، املا في معرفة ما اذا كانت هناك اسرار تفشى ، او مجرد مراسلات . فاذا لم يك ثمة شيء فيمكن ختمها من جديد ؛ ثم انه لا اهمية لهذا الامر ، فقد يمكن تسليم الرسائل مفتوحة .

مدير البريد : معلوم ، معلوم ... لن تعلمني اصول مهنتي . وانا بعد لا افعل قط غير ما تقول ، لا من قبيل الاحتياط ،

بل عن مجرد فضول . الا انني اعترف لك بانني اموت رغبة في معرفة كل امر جديد . واؤكد لك ان ليست هناك قراءة اجمل من هـــذه ... فثمة رسائل كلها سلوى .. فالناس يكتبون اشياء .. وبعضها جميل السبك .. انها افضل مما ينشر في صحف موسكو .

الحاكم : حسناً ! قل لي ، ألم تقرأ شيئاً بخصوص احد موظفي بترسبورغ ؟

مدير البريد : كلا . فليس هنـــالك شيء من بترسبورغ على الاطلاق ؛ الا ان هنالك احاديث مستفيضة عن احـــد موظفي كوستروما وساراتوف . يغيظني انك لا تقرأ الرسائل ، لان بينها مقاطع رائعة . فمنذ امد غير طويل مثلا كتب ملازم في الجيش رسالة الى احد اصدقائه ، يصف له فيها حفلة راقصة .. ضع المزاح جانباً .. لقد كانت ظريفة ، شيقة : « انني اعيش ، يا عزيزي - هكذا يقول - اعيش في السماء . فها هنا العديد من الاوانس ؛ وتعزف الموسيقى ، ويندفع الانسان .. » . على هـذا الاسلوب .. وصف رائع ! اسمع ، انها معي . اترغب في ان اتلوها عليك ؟

الحاكم : كلا ؛ ليس الآن . وعلى هذا ، هل ستقدم لي هـــذه الخدمة ، يا ايفان كوزميتش ؟ انك اذا وقعت ، في المستقبل ، على عريضة او شكوى ، احتفظ بها دون تردد.

مدير البريد : من كل قلبي .

القاضي (الذي سمعه) : خذ حذرك . فقد تتورط فيما انت بغنى عنه .

مدير البويد : هيهات ! يا الهي !..

الحاكم : لا شيء من هذا ، لا شيء ! سلاماً على الدنيا لو كنا نفعل ذلك بصورة عنلية ، ولكننا نتحدث كما لو كنا في مجلس عائلي .

القاضي : عمل رديء، عمل رديء ! اسمع ، يا انطون انطونوفيتش، بي رغبة في ان اتخلى لك عن كلب . انه شقيق كلبي الذي تعرف . لقد قالوا لك ان تشبتوفيتش قد اقام الدعوى على فرخوفنيسكي ؛ اعلم اذن اني اقوم باللازم على احسن وجه ، فأعدو كالارنب ، تارة الى بيت هـذا ، واخرى الى بيت ذاك .

الحاكم : يا ابني الصغير (١) ، ان في رأسي الآن اشياء اخرى كثيرة غير ارانبك . فهذا الشيطان المتخفي لا يفارق ذهني . واني لاتوقع في كل لحظة ان يفتح الباب وان..

---

(١) باتوشكا ، تعبير متداول بكثرة في الحديث ، ويستعمل دون الانتباه الى نسبة السن بين الاشخاص الذين يتبادلون الحديث .

المشهد الثالث

نفس الاشخاص ، بوبتشنسكي ودوبتشنسكي
(يعدوان مبهوري الانفاس)

بوبتشنسكي : نبأ عظيم !

دوبتشنسكي : يا له من حدث مفاجىء !

الجميع : ماذا حدث ؟

دوبتشنسكي : الحكاية لا تصدق ! ندخل دكان الشوّاء ...

بوبتشنسكي (مقاطعاً) : ندخـــل ، بيتر ايفانوفيتش وانا ، دكان الشوّاء ...

دوبتشنسكي : لا ، اسمع ، يا بيتر ايفانوفيتش ، فسأقص عليهم الحكاية ...

بوبتشنسكي : لا ، اسمح لي ... اسمح لي ... انا ... انت لا تعرف كل شيء ...

دوبتشنسكي : ولكن ستختلط عليك الامور ، وانت لا تذكر ...

بوبتشنسكي : بلى وحق الاله ، اذكر تماماً كل شيء . واحذر فقط ان تربكني . سأحكي القضية ، ولكن لا تربكني . ارجوكم ايها السادة ، تفضلوا عليّ بمنع بيتر ايفانوفيتش من مقاطعتي .

الحاكم : تكلم ، تكلم ، بحق الاله ! ما هنالك ؟ انقلب عالي قلبي الى اسفل . اجلسا ايها السيدان . خذا مقعدين لكما . هذا كرسي لك ، يا بيتر ايفانوفيتش . (يجلس الجميع متحلقين حول الاخوين بيتر ايفانوفيتش .) حسناً والآن ، ماذا هناك ؟

بوبتشنسكي : اسمحوا ، اسمحوا ، لنبدأ بالبداية. فمنذ استأذنتكم بالذهاب ، وتركتكم في الغم والقلق بسبب هذه الرسالة التي تلقيتموها .. نعم .. عندئذ اسرعت .. هيا ، ارجوك ، لا تقاطعني يا بيتر ايفانوفيتش . قلت لك اني اعرف كل شيء ، كل شيء ، كل شيء . — اذن ، كما حصل لي الشرف بالقول ، اسرعت الى دار كوروبكين . ولكن كوروبكين لم يكن في داره ، مما حملني على التعريج على رستاكفسكي ، واذ كان رستاكفسكي قد خرج ، فقد دخلت على ايفان كوزميتش ، لاروي له النبأ الذي نقلتموه الي ؛ ولدى خروجي من هناك ، التقيت ببيتر ايفانوفيتش ...

دوبتشنسكي (يقاطعه) : قرب دكان بائع الحلوى ...

بوبتشنسكي : قرب دكان بائع الحلوى . نعم التقيت ببيتر ايفانوفيتش ، وقلت له: اسمع ،هل تعرف النبأ الذي تلقاه انطون انطونوفيتش ، في رسالة من شخص موثوق ؟ الا ان بيتر ايفانوفيتش كان يعرفه من خادمتك آفدوتيا ، التي كانت ذاهبة ، لا اعلم لقضاء اية حاجة ، في دكان

فيليب انطونوفيتش بتشتشوييف .

دوبتشنسكي (يقاطعه) : لشراء برميـــل صغير لوضع الكونياك فيه .

بوبتشنسكي : نعم ، لشراء برميل صغير لوضع الكونياك فيه . حسناً ! سرنا اذن ، بيتر ايفانوفيتش وانا ، الى دكان بتشتشوييف .. هيا ، يا بيتر ايفانوفيتش .. لا تقاطعني .. ارجوك ، لا تقاطع ! — سرنا الى دكان بتشتشوييف ، وفي الطريق ، هوذا بيتر ايفانوفيتش يقول لي : لندخل المطعم . اشعر بشيء لا اعرف كنهه في بطني .. فأنا لم اطعم شيئاً منذ الصباح .

نعم ، فقد اصاب بيتر ايفانوفيتش شيء في معدته .. اجل — قال لي — لقـد استقدم الشواء سمكا طازجاً . وسنطعم منه . ثم ما كدنا ندخل المطعم ، حـــتى بدا فجأة شاب ...

دوبتشنسكي : ذو مظهر لطيف ، وحلة جميلة ..

بوبتشنسكي : ذو مظهر لطيف ، وحلة جميلة ؛ فدخل القاعة . وعلى وجهه كانت ترى علائم الشدة ... وجـــه ... وامارات .. (يدير يده حول جبهته) ثمة كثير ، كثير من هـذا كله . استشعرت بشيء ما على وجه الحدس ، وقلت لبيتر ايفانوفيتش : هوذا رجل لم يأت الى هنـا لوجه الله . نعم . واشار بيتر ايفانوفيتش هكذا ، باصبعه ،

لصاحب المطعم. و « فلاس » صاحب المطعم .. وضعت زوجه منـــذ ثلاثة اسابيع فتى صغيراً قويا ، سيمسك المطعم ، كأبيه ، في احد الايام . نادى بيتر ايفانوفيتش اذن فلاس ، وسأله بصوت منخفض : قل لي من هو هذا الشاب. اجابه فلاس هكذا: — هذا ؟.. آه ! لا تقاطع ، يا بيتر ايفانوفيتش . يا الهي ! لا تقاطعني . لست انت الذي تتكلم ، يا الهي ، كلا ! انك تدندن ، وانت تعلم جيداً ان لك سناً تصفر في فمك .. قال : هذا ، هـذا الشاب ؟ انه موظف حكومة آت من بترسبورغ. وقال انه يدعى ايفان الكسندروفيتش خليستاكوف ، وقال انه يذهب الى حكومة ساراتوف ، وقال ان له تصرفات غريبة . فها قد مر عليـه هنا اسبوعان . فلا يخرج من الفندق . ويأخذ كل ما يأخذ بالدين ، ومن نقوده .. لم نر كوبيكا واحداً . هذا ما قاله لي ، وهذا ما حملني ، انا ، على التفكير . — قلت عندها لبيتر ايفانوفيتش : اسمع ..

دوبتشنسكي : لا ، يا بيتر ايفانوفيتش ، انا الذي قلت لك : اسمع ...

بوبتشنسكي : نعم ، قلت لي اول الامر : اسمع ؛ ولكنني قلت انا بعدئذ لبيتر ايفانوفيتش : ما هو مرامه من البقاء هنا ما دام ذاهباً الى حكومة ساراتوف ؟ — اجـل .. وهو موظف حكومة .

الحاكم : كيف ؟ موظف !

بوبتشنسكي : الموظف الذي حدثوكم عن مجيئه ... المفتش العام.

الحاكم (مذعوراً) : كيف ! بارككما الله ! هذا مستحيل .

دوبتشنسكي : انه هو . فهو لا يدفع ، ولا يغادر البلد . ما يكون اذن ؟ ان جوازه مؤشر عليه لساراتوف .

بوبتشنسكي : انه هو ، اقسم بشرفي انه هو ... فهو يرقب كل شيء ... كان ينظر ، ولا شيء كان يفوته .. لقد رأى اننا كنا نأكل سمك حوت سليمان ، بيترايفانوفيتش وانا ، وخصوصاً ان بيتر ايفانوفيتش ، كان بسبب معدته ... نعم ... رمى بنظره الى صحافنا ... لقد اخافني .

الحاكم : آه ! يا رب السماء ، اشفق علينا نحن الخاطئين المساكين ! اين هو ؟

دوبتشنسكي : رقم ٥ ، تحت الدرج .

بوبتشنسكي : في ذات الرقم ، حيث تشاجر اولئك الضباط الذين كانوا يمرون ببلدنا .

الحاكم : وهل انقضت عليه مدة طويلة هنا ؟

دوبتشنسكي : حوالي اسبوعين . وهو مقيم عنـــد فاسيلي ـ اغيبتيانين .

الحاكم : اسبوعان ! (على حده .) أوه ! يا ملائكتي ! يا قديسي الصغار ! ترفقوا بي ، يا حماتي ! وزوجة وكيل الضابط التي جلدت خلال هذه الفترة من الزمن ! (١) . والمساجين

---

(١) زوجة وكيل ضابط هي بالضرورة شخص حر لا يمكن ان تخضع بلا محاكمة لاي تعذيب جسماني .

الذين لم يحصلوا على اعاشتهم ! والملاهي في الشوارع ، وليس من تكنيس !.. يا رحمة الرب ، ! لقد ضعت وذهبت ريحي . (يأخذ رأسه بين يديه .)

المدير : حسناً ! يجدر بك يا انطون انطونوفيتش ، ان تذهب باللباس الرسمي الى الفندق .

القاضي : كلا ، كلا . يجب ان نرسل اليه قبل كل شيء كبير الوجهاء ورجال الدين . والتجار . هل تعرفون ما جاء في كتاب حياة جان ماسون ...

الحاكم : كلا ، كلا ، دعوني افعل . هيا ، ففي الحياة فترات عصيبة ، وهي تمر وتنقضي ، بفضل السماء . ولندع الله الا يتخلى عنا ! (الى بوبتشنسكي .) اتقول انه شاب ؟

بوبتشنسكي : شاب يبلغ من العمر الثالثة والعشرين حتى الرابعة والعشرين ، لا اكثر .

الحاكم : من حسن الطالع . فالشاب ، كالصفحة البيضاء . اما المصيبة الكبرى فهو العجوز الشيطان . الشاب ابداً يظهر ما يبطن . انتم ، ايها السادة ، خذوا اهبتكم . اما انا ، فذاهب بمفردي ، صحبة بيتر ايفانوفيتش ، دون ان افعل ما يلفت النظر ، كما لو كنت اقوم بنزهة ، لارى ما اذا كان المسافرون يعاملون معاملة حسنة . انت هناك ! سفيستينوف !

سفيستينوف : امر سيدي ؟

الحاكم : اسرع في طلب بعمدة الحي ... كلا ، فانا بحاجة اليك .

قل لاي كان ان يأتي في الحال بعمدة الحي ، وعد بسرعة.

المدير : هيا ، هيا بنا من هنا ، يا آمّوس فيدروفيتش . فقد تحدث مصيبة .

القاضي : ولمَ الخوف. فللمرضى قبعات بيضاء ، وكل شيء على ما يرام .

المدير : قبعات ! انهم يأمرون بتقديم الحساء للمرضى ، وفي جميع الممرات تزكم انفك رائحة القرنبيط .

القاضي : من هذه الناحية ، انا مطمئن البال . فمن ذا يفكر بالذهاب الى المحكمة ؟ وحتى لو ارتأى احدهم ان ينظر في بعض الاوراق ، فلن يزيده ذلك معرفة بشيء . انني اعتلي منصة القضاء منذ خمسة عشر عاماً ، واذا ما نظرت الى مطالعة ما ... هاه ! هاه ! النبي سليمان ذاته لن يتمكن من اكتشاف ما اذا كانوا يقولون صدقاً ام كذباً .

(يخرج القاضي ورئيس الملاجيء ، وعميد الكلية ومدير البريد ويلتقون عند الباب بسفيستينوف الذي يعود .)

المشهد الرابع

الحاكم ، بوبتشنسكي ، دوبتشنسكي ، سفيستنوف

الحاكم : هل الجلواز هنا ؟

سفيستنوف : نعم ، يا سيدي الحاكم .

الحاكم : اذهب الى الطريق ... لا ، تمهل ... اذهب فخذ ... ولكن اين هم الآخرون ؟ هل انت وحدك هنا ؟ لقد امرت بحضور بروخوروف الى هنا . اين بروخوروف؟

سفيستنوف : بروخوروف عند هيئة الحرس . الا انه ليس قادراً على اداء اي عمل .

الحاكم : كيف ذلك ؟

سفيستنوف : ذاك انهم اتوا به هذا الصباح ثملا كالميت . وها هم قد صبوا فوق رأسه دلوين من الماء ، ولم يعد الى رشده.

الحاكم : آه ! يا إلهي ، يا إلهي ! اسرع حالا الى الطريق ... لا ، ابق ... اذهب قبل ذلك الى غرفتي ، أتسمع ؟ وانني بسيفي وقبعتي الجديدة . هيا بنا ، يا بيتر ايفانوفيتش ، فلنمض .

بوبتشنسكي : وانا ، وانا ... اسمح لي بالمجيء ايضاً ، يا انطون انطونوفيتش .

الحاكم : لا ، يا بيتر ايفانوفيتش. هذا غير ممكن . فليس عندي

سوى جلواز واحد ، وليس هناك من مكان .

بوبتشنسكي : لا تعر الامر بالك ؛ سأمضي على قـــدمي ، سأعدو خلف الجلواز ... ان كل ما ابغي هو ان اتمكن من النظر من شق خلال الباب ، ومعرفة ما يفعل .

الحاكم (يتناول السيف الذي يحمله اليه سفيستنوف) : امض بسرعة ، فخذ ملاحظي البلدية ، وليمسك كل منهم ... ـ آه ! كم هو تالف هذا السيف ! وهـذا التاجر اللعين آفدولين ! انه يرى بان للحاكم سيفاً عتيقاً ، ولا يبعث اليه بواحد جديد ! يا لها من كومة لصوص ! آه ! يا اصحابي! انا على أتم ثقة بانهم قد انتهوا من تهيئة عرائضهم ، وانها ستنبع من تحت الارض ... ـ يجب على كل فرد ان يمسك الطريق ... فليذهب الشيطان بالطريق ... ! اردت ان اقول : ان يمسك مكنسة ، وان ينظف لي الطريق امام الفندق ، ولتكن نظيفة ... اصغ . تنبه ! انني اعرفك ، انت ! انك تبدو كالحواري الطيب ، نعم ، ثم تدس ملاعق الفضة في جزمتك . احترس من ذلك . لا تحمي اذنيّ . وما فعلت عند التاجر تشرنايف ؟ ها ؟ اعطاك طولين من القماش لتصنع لك بهما بذلة ، فسرقت القطعة كلها . احترس من ذلك . فلست من طبقة تسرق على هذا الشكل ! امض .

المشهد الخامس

نفس الاشخاص ، عمدة الحي

الحاكم : آه ! ستيفان ايليتش ، قل لي ، محبة بالله ، اين كنت قد دسست نفسك ؟ ما هذه التصرفات الشيطانية ؟

العمدة : كنت ، منذ لحظة وجيزة ، بباب المدينة .

الحاكم : لنتدارس القضية . اصغ الي يا ستيفان ايليتش . لقد وصل موظف من بترسبورغ . فكيف حالك ؟

العمدة : حسبما امرت . لقد ارسلت الرقيب بوغوفستين مع مستخدمي البلدية لتنظيف الرصيف .

الحاكم : واين هو درجيموردا ؟

العمدة : ذهب درجيموردا الى ...

الحاكم : وبروخوروف ، اهو ثمل ؟

العمدة : ثمل .

الحاكم : وكيف تطيق ذلك ؟

العمدة : رباه ماذا افعل ؟ لقد حصلت مشادة البارحة في الضاحية . وذهب ليعيد الامور الى مجاريها ، فعاد ثملا .

الحاكم : اصغ لما اقول . هوذا ماستفعل ... فشرطي حيّنا ... فتى شديد البأس ... ليتخذ له مكاناً فوق الجسر ، للمحافظة على النظام . ها ! والباحة المسيجة ، قرب صانع

الجزمات ، نظفوها باسرع وقت ، وانصبوا فيها قوائم ، كما لو كانت معدة للبناء . اتسمع ما اقول ؟ ليس مـا يشهد على نشاط الادارة اكثر من الورشات واعمال البناء . — آه ! يا رب ! وانا الذي نسيت انه قد القى في هذه الباحة اربعون حملا من القمامة ! يا لهـا من مدينة قذرة ! فلو كان هنا اثر قديم او باحة مسيجة ،فالشيطان يعلم من اين يأتون بالقذارات التي يلقونها فيهما . آه !... واذا ما سأل المفتش العام احدكم : هل الناس راضون ، عن حياتهم هنا ؟ .. فاجيبوا : — الناس كلهم راضون يا سيدي . ومن لم يعرب عن رضاه ، فسآخذ على عاتقي فيما بعدمهمة عـدم ارضائه ... اوه ! اوه ! يالي من خاطىء تعيس ! (يتناول علبة بدلا من قبعته .) رباه ! دعني اتخلص من بين مخالبه ، وسأمنحك شمعداناً لم يقدم لك انسان نظيراً له من قبـل ، وسيصيب كلا من هؤلاء التجار الخبثاء ، ثلاثة اوزان من الشمع . آه ! يا رب ! يا رب !... لنمض ، يا بيـتر ايفانوفيتش . (يسلو ، فيضع علبة الاوراق على رأسه بدلا من القبعة .)

العمدة : العلبة هي ما اخذت يا انطون انطونوفيتش ، هي ذي قبعتك .

الحاكم (وهو يلقي بالعلبة .) : اية علبة ؟ الى الشيطان ارمي العلبة !... فاذا سئلنا لمَ لم تُبق كنيسة الملجأ التي ارسلت اعتماداتها منذ خمس سنوات ، فيجب ان ننسى القول اننا

بدأنا باشادتها ، ولكنها احترقت . لقـــد هيأت تقريراً بالحادث ... هيه ! ومن ثم ، فحذار من ان يتبـــادر لاحدكم القول ، فعل الحيوانات ، اننالم نبدأ بعد . قولوا ايضاً لدرجيموردا الا يكثر من استعمال قبضاتة . وان يعنى بوضع فانوسه تحت انف جميع الناس ،الشرفاءمنهم والآخرين . وان يبدو بمظهر من يقوم بواجبه . لنمض، يا بيتر ايفانوفيتش . (يروح ليخرج ويعود .) ايه نعم ! ويجب ان يمنع الجنود من الخروج الى الطريق هؤلاء الذين لا اعرف كيف اصفهم ... فهذه الحامية اللعينة ترتدي معطفها فوق القميص ،وتستغني عن البذلة الداخلية. (يجرجون .)

•

المشهد السادس

أنّـا اندرييفنا و ماريا انطونوفنا
تدخلان راقصتين

أنّـا : اين هم ، اين هم ؟ آه ! يا الهي ! (تفتح الباب .) زوجي أنطوشا !

انطون : انت ، انت ابـــداً المخطئة ! ابداً تتلكئين ! دبوس هنا ، وقبة هناك ! ... (تعود الى النافذة وتصرخ :) انطون ! الى اين تمضي ، قل الى اين تمضي ؟ أله شاربان ؟ اي شاربين ؟

صوت الحاكم : بعد قليل ، بعد قليل ، يا أم .

أنّـا : بعد قليل ... انتظار الانباء ! لااريد الانتظار ... كلمة واحدة فحسب . اهو برتبة زعيم ؟ ماذا ؟ (يخنق .) ويحه ! لقد ذهب ! آه احسناً ،عال ! سأذكر منه ذلك . — والسبب دوماً هـــذه الباردة المتهاونة ! أماه ، أماه ، انتظريني ، انني البس قبعتي ، انا حاضرة . تباً لقولك : انا حاضرة! انك السبب في اننا لم نعلم شيئاً ، وعلة ذلك كله اناقتك اللعينة : فقد عرفت الآنسة ان مدير البريد هنا ، وهي ذي تتملح وتتظرّف امام المرآة ، فتستدير

هنا ، وتستدير هناك ، وخلال هذا الوقت ، ذهب القوم. انها قد تتصور ان الرجل واقع في غرامها : ولكنه يهزأ منك عندما تديرين ظهرك .

ماريا : وما تريدين ، يا امي ؟ يجب على الانسان ان يسكن الى امر . وسنعلم كل شيء في مدة ساعتين .

آنا : في مدة ساعتين ! شكري الجزيل ! اجل ، احب هذا الجواب كل الحب . لِم لا تقولين اننا سنزداد معرفة بكل شيء ، في مدة شهر . (في النافذة .) ايه ! أفدوتيا !... لقد قيل لك ، يا أفدوتيا ، ان قد وصل احد ... أليس كذلك ؟... لا تعلمين ؟ يا لها من حيوان ! حسناً ! اني ارى تمام الرؤية ، هذه الاشارات التي تقومين بها ، ولكن لِم لم تسألي ؟... لم يكن في وسعها ان تعرف !... سخافات ، انها لا ترى غير العشاق ... ؟ هاه ! مضيت بسرعة ... كان يحسن بك ان تركضي خلف الجلواز ! اذهبي ، اذهبي في الحال . او تسمعين جيداً ؛ اركضي ، واخبريني . اعلمي الى اين ذهبوا ... وبعد ، فهذا المسافر ، ما يكون بين الرجال ، او تسمعين جيداً ؟ انظري من ثقب القفل ، وقولي لي كل شيء ... كيف هي عيونه ، سوداء ، ام لا ، وعودي في الحال . او تسمعين : بسرعة ، بسرعة ، بسرعة ! (تتابع الكلام في النافذة الى ان يهبط الستار.)

– نهاية الفصل الاول –

الفصل الثاني

غرفة صغيرة في فندق ريفي ؛ سرير ، طاولة ، حقيبة ، قنينة فارغة ، جزمة ، فرشاة ملابس ، الخ .

المشهد الاول

اوسيب (مضطجعاً فوق سرير سيده .)

انني اموت من الجوع ، فليذهب بي الشيطان ! واحشائي ترسل ضجيجاً بقدر ما لو كان في بطني جميع ما في كتيبة من ابواق . ألن نأكل ملء بطوننا اذن الا عندما نبلغ دورنا ؟ ماذا سيحل بنا ؟ ها قد انقضى شهران على مغادرته بيتر(١) . فانفق مشعوذي النقود على الدرب ؛ واضحت اذنه الآن واطئة ، واضحى هو حلواً كالعسل . كان معنا ما ندفع به اجرة النقليات ، وزيادة . — لا ففي كل مدينة ، يجب ان يظهر السيد شخصه . (مقلداً سيده .) اوسيب ، اصعد وشاهد غرفتي . افضل غرفة . فليهيئوا لي عشاء جيداً . اذ ليس في وسعي ان اطعم المآكل الرديئة ، بل الطيبة الفاخرة . — هيهات ! فاليوم نرتضي لانفسنا طعام اقذر شوّاء . وقد

(١) مختصر شعبي دارج لمدينة سان بترسبورغ .

نلعب بالورق ... امسك ! فها قد جز شعرنا : آه ! ان هذه الحياة تضجرني . وها انا ازفر شوقاً لقريتي . ويحي! فهذه ليست حياة بشر ، هناك عـــلى الاقل ، لا نجهد نفسنا بالعمل والكد . فلواحدنا زوجـــه الصغيرة ، فلا يتحرك من تحته ، ويطعم الفطائر . ويجب ان اعترف من ناحية اخرى ، انه ليس ثمة حياة تشبه تلك التي يحياها الانسان في بيتر . فاذا كانت الجعبة ملآنة ، فيا لحسن حياة الرجل السياسي الـــتي يحياها المرء عندئذ ... المسارح ... الطلاب العالمة ، وكل ما يسع المرء ان يتمناه . وللناس فيها طرائق في الحديث ناعمة حتى ليُظن انها قدت من روح النبل . تخرج الى الشارع ، فيصيح بك التجار : ايتفضل السيد بطلب شيء ؟ وتجوز النهر ، فيقعد الى جانبك مستخدم . اوتود من يصحبك ، ادخل المخزن . فسيروي لك احد الحرس ما يجري في المعسكر من امور ، ويفسر لك ما تعني كل نجمة في السماء كما لو كانت في راحة يدك ... وهنالك زوجة عجوز لاحـــد الضباط على اتم الاستعداد لان تركب بعض الحماقات ... وفي مرة اخرى ، تجد خادمة جميلة تلتفت اليك بشكل ... F.F.F. ! (يبتسم وهو يحفر رأسه .) فليذهب الشيطان بالاناقة والظرافة ! فليس عندهن كلمة ناعمة يقلنها لك ! فدوماً : **يا حضرة** . — وعندما يتعب المرء ، يأخذ عربة ، فيجلس كما لو كان سيداً ، واذا لم يرغب في الدفـــع —

القضية هينة ، فلكل دار بابها الخلفي ، الذي يمكنك ان تنسل منه فلا يلحق بك الشيطان . ان للمدالية وجهاً آخر : فاليوم ينفخ الانسان بطنه ، وغداً يغطس من الجوع . مثال ذلك : اليوم . انهـــا خطيئته . ولكن مـــا افعل ؟ فالوالديعطينا بعض النقود ، انه ليس تحفة تدّخر ... هيا نلعب ونشرب !... اننا بحـــاجة الى عربات ، وفي كل يوم يرسلني لآتيه بتذكرة للمسرح — ويدوم الحال اسبوعاً ، ومن ثم يقول لي ان آخذ ملابسه الجديدة الى دار عمته . لقد رأيته يبيع بائع الرثاث حتى آخر قميص عنده ، فلا يستبقي سوى سترة قصيرة تعيسة و«روب دوشامبر» ، وهذا صحيح كشهادة ان لا إله الا الله . ويا له من قماش جميل ! قماش انكليزي ، تكلف البذلة منه مائة وخمسين روبلا . فيضع في الصدار عشرين روبلا ، وفي البنكال ، الا اذكر شيئاً ؟ ان المـــرء لا يعرف اين يذهب المال ولمَ كل هـذا ؟ لمَ ؟ لان السيد لا يذهب الى عمله . وبدلا من ان يذهب الى مكتبه ، يتنزه السيد على الكورنيش ، يقوم بجولته الخاصة . آه ! لو ان السيد العجوز علم بذلك ! فقد لا ينظر الى ان السيد موظف حكومة ، فيحسر لك عن قميصه ، ويشبعه ضرباً ولكما بصورة يحك معها جلده مدى اسبوع فكيفما تعامل الناس يعاملوك . هوذا الشوّاء يقول انه سيأب

عليه الطعام قبل ان يدفع قائمته ... واذا لم ندفع ...
(يتنهد) هيهات ! يا رب ! افعل كل ما تريد وتبغي ،
ولا اطلب منك سوى زبدية من مرق القرنبيط ! اراهن
على ان كل الناس قد تناولوا عشاءهم في هـذه الساعة .
الباب يطرق . لا بد أنه هو . (ينهض على عجلة .)

المشهد الثاني

اوسيب ، خليستاكوف

خليستاكوف : امسك ... (يناوله عمرته وعصاه .) عال أتمرغت ثانية على السرير ؟

اوسيب : انا ؟ ولكن لم أتمرغ ؟ انني لم ألق على سريرك مجرد نظرة ، انا .

خليستاكوف : تكذب : فقد اضطجعت . انه مقلوب .

اوسيب : كيف جرى ذلك ؟ انني لا اعرف ما يكون السرير. فلي قدمان . وانا اقف عليهما . ليس لي ما افعل بسريرك .

خليستاكوف (وهو يسير) : انظر ما اذا كان في العلبة بعض التبغ .

اوسيب : تبغ ؟ لقد دخنت آخر ما تبقى منذ اربعة ايام .

خليستاكوف . (يسير وهو يعض على شفتيه : بلهجة حازمة ورهيبة .) : اصغ الي ، يا اوسيب !

اوسيب : امرك ؟

خليستاكوف : (بلهجة مخيفة ولكن اقل حزماً .) : انزل .

اوسيب : الى اين ؟

خليستاكوف (بلهجة لا مخيفة ولا حازمة ، بل شبه ضارعة .) : الى تحت : الى قاعة الطعام... قل لهم ان يأتوني بما اتعشاه.

اوسيب : آه ! لا ، وحق ايماني . لن اذهب .

خليستاكوف : كيف ، يا ولد !

اوسيب : وبعد ، حتى لو انني ذهبت ، فالام يؤدي ذلك . فصاحب الفندق يقول انه لا يريد ان يعطيك طعاماً .

خليستاكوف : كيف ، وهل يجسر ! هذا وقح سفيه .

اوسيب : يقول انه سيذهب الى الحاكم ، لانه مضت علينا خمسة عشر يوماً لم ندفع له فيها حسابه.— وقد قال لي ، انت ، ومعلمك ، خليعان ماجنان ، ومعلمك محتال . وقال : لقد رأيت اشباهاً لكما من الطفيليين .

خليستاكوف : هل انتهيب ، يا فظ يا غليظ ، من ذكر حماقاتك.

اوسيب : ويقول : الجماعة يأتون ويقيمون ، ويشترون بالدّين ، ولا يمكننا ان نطردهم. ويقول: ولكنني لست بالهازل. سأرفع شكواي ، وسأزج بكما في السجن .

خليستاكوف : كفى ، يا احمق ! انزل ، انزل وكلمه . يا لك من فظ غليظ !

اوسيب : الافضل ان اقول للمعلم ان يأتي فيكلمك .

خلستاكوف : ايه ! لن افيد شيئاً من رؤيته. كلمه انت نفسك.

اوسيب : ولكن ، يا سيدي ...

خليستاكوف : هيا امض ، ليذهب بك الشيطان ! قل لمعلم الفندق ان يصعد (يخرج اوسيب .)

المشهد الثالث

خليستا كوف (بمفرده)

اشعر بجوع رهيب . لقد قمت بجولة ، ظاناً انهـــا قد تذهب بشهيتي ، ولكن لا وحق الشيطان ، لم يجر شيء من هذا . آه ! لو انني لم اقـــدم على فعل بعض الحماقات في « بنزا » ، لبقي معي المال الـكافي لعودتي الى البيت . وهذا الرئيس ضابط المشاة قد استلبني كل ما معي . لا اقول هذا لوجه الكلام ، غير ان اللعين يعرف جيداً كيف ينسل ورق اللعب . وفي مدى ربع الساعة ، نفض جيوبي نفضاً . ومع ذلك كله ، انا على استعداد لدفع شيء ما من جيبي لاعاود اللعب معه مرة ثانية . آه ، لو انني وقعت على جميلتي فحسب ! يا لها من مدينه صغيرة قبيحة ، لا يعطي فيها بائعو الحلويات شيئاً بالدين . انذال ! (يصفر « افتتاحية روبير » وبعض الانغـــام الروسية الاخرى .) اليس من يأتي اذن ؟

المشهد الرابع

خليستاكوف ، اوسيب ، احد خدم الفندق

الخادم : كلفني سيدي ان اسأل سيدي عما يأمر .

خليستاكوف : هاه ! صبحت بالخير ، يا صاحبي كيف حالك ؟

الخادم : بخير ، الحمدلله .

خليستاكوف : وفي الفندق ، كيف حال الجميع ؟ آمـــل ان يكون كل شيء على ما يرام ؟

الخادم : الجميـع بخير ، حمداً لله .

خليستاكوف : أعندكم نزلاء كثيرون ؟

الخادم : نعم لا بأس .

خليستاكوف : اسمع ، يا عزيزي ، انهم لم يحملوا الي عشائي بعد ، وعليه ، انزل ، من فضلك ، وقل لهم ان يحملوه الي في الحال ، لان عندي ما افعل بعد العشاء كما ترى ...

الخادم : نعم ، يا سيدي ، ولكن سيدي قال انه لن يسلفك شيئاً بعد الان. وقد كاد اليوم يذهب اليه ليشكوك الى الحاكم .

خليستاكوف : يشكوني ؟ وما يشكو ؟ انني احتكم اليك ، يا عزيزي ... يجب ان آكل قبـــل كل شيء ... ولا

يسعني ان اصوم على هذا الشكل . انني اشعر بجـــوع رهيب ، ولست بالهازل .

الخادم : حسناً ، يا سيدي . ولكنه قال هكذا : لن اعطيه ما يطعم ما دام لم يدفع ما عليه . هذا هو ما قال .

خليستاكوف : هيا ، هيا ، ايها المحتال الصغير ، كلمه .

الخادم : ولكن ماذا تريد ان اكلمه .

خليستاكوف : كلمه جدياً ، قل له اني بحاجة الى الطعام ... اما الدراهم ... انه يتخيلنا كالفلاحين وان بوسعنا البقاء يوماً كاملا دون طعام . . انه ذكي في هذا !

الخادم : سأمضي لاقول له ذلك . (يخرج مع اوسيب .)

المشهد الخامس

خليستاكوف (بمفرده)

اذا اصر على منع الطعام عني . فشهيتي بلغت حداً لم تبلغه قط من قبل . فاذا بعت ملابسي ، فقد احصل على قدر من المال يكفي لاستعادة ثقة البزار ... أأبيع بنطالي ؟ ها ؟ — كلا ، افضل ان اموت من الجوع وان اعود الى بيتي وعليّ بذلة بترسبورغ ... انني مغتاظ لامتناع جواكيم عن اعارتي عجلته الخفيفة . ليذهب بي الشيطان ! فما كانت العجلة لتعوق اعمالي؛ ولكنت اليوم اتنقل بخيلاء ، الفوانيس مضاءة واوسيب باللباس الخاص خلفي ، تحت شرفة بعض القصور . عندها يكذب الناس عيونهم . — من الآتي ؟ ما يمكن لهذا ان يكون ؟ — يتقدم خادمي : (يقلد خادماً وهو يعلن .) ايفان الكسندروفيتش خليستاكوف من بترسبورغ . ولكن ايفهم اولئك الثقلاء نعظ ما معنى هذا. هل تأمر بادخاله ؟ . لو انه جاء اي سميج ، بالنسبة لاولئك القوم ، او اي ريفي ... وهو اشبه بالدب ، لادخل عليك رأساً الى صالة الاستقبال. وقد يجد فيها احدنا آنسة جميلة، فيتقدم: يا آنسة ، انني... (يفرك يديه ويطقطق جزمته .) هوه! (يبصق .) معدتي تؤلمني . غريب ، كم انا جائع .

المشهد السادس

خليستاكوف ، اوسيب ، ثم خادم الفندق

خليستاكوف : حسناً ، ماذا جرى ؟

اوسيب : انهم يأتون بالعشاء .

خليستاكوف (يصفق بيديه وينقر بتؤدة على الطاولة .) : العشاء ! العشاء ! العشاء !

الخادم (حاملا بعض الصحاف .) : يقول سيدي ان هذه هي المرة الاخيرة التي يسمح فيها بتقديم العطام اليك .

خليستاكوف : سيدي ، سيدي ... انني أهزأ كل الهزء من سيدك . ما تحمل في هذه الصحاف ؟

الخادم : مرق ولحم مشوي .

خليستاكوف : كيف ، اصحنان فحسب ؟

الخادم : نعم .

خليستاكوف : ولكن هذه نذالة ! أكاد لا اصدق . قل له ... اننا لم نر ابداً ... يا لها من كمية ضئيلة !

الخادم : كلا ، يقول انها كثيرة .

خليستاكوف : والخضار ، لِمَ لم يسكب منها .

الخادم : ليس عندنا خضار .

خليستاكوف : ولم اذن ؟ لقد رأيتهم يطبخون منهـــا الشيء الكثير ، وانا امر امام المطبخ . ، واليوم ، في قاعة المطعم ، كان هنالك رجلان قصيران يأكلان السمك ومن جميـع انواع الطعام .

الخادم : ارجوك ، يوجد عندنا من هذا ولا يوجد .

خليستاكوف : كيف ، لا يوجد !

الخادم : لا ، يا ربي ، لا يوجد .

خليستاكوف : الا يوجد حوت سليمان ، سمك حوت سليمان ، سمك ، اضلاع مقلية ؟

الخادم : ايوه ! نعم ، ولكن لمن يدفع .

خليستاكوف : كم تبدو سخيفاً احمق !

الخادم : لن اقول شيئاً .

خليستاكوف : انك ماكر خبيث وماذا تقول ؟ ألن آكل مما يأكل الآخرون ؟ ولم اكون انا المحروم ، بحق جميـع الشياطين ؟ ! الست نزيلا مثلهم ؟

الخادم : اعذرني ، ليس الامر على حد سواء .

خليستاكوف : ولمَ اذن ؟

الخادم : ان الفارق ، هم ، يا سيدي ... النزلاء الآخرون يدفعون .

خليستاكوف : ليس في ودي ان اناقشك ، يا سخيف . (يبدأ بأكل المرق .) مـــا يكون هذا ؟ مرق ! انه مـــاء

سكبته في زبدية المرق ... فلا رائحة له ... بل انه ماء عفن نتن ... انا لا آكل من هذا ، ايتني بمرق آخر .

الخادم : سأعود به . ويحي ، فسيدي يقول : ليتركه ، اذا لم يرغب فيه .

خليستاكوف (ممسكا بالزبدية التي يهم الخادم بحملها .) : دع عنك ... دعها ، يا مخبول ... انك معتاد تصريف الناس هنا ... ولكني لا اهوى انا الدعابات ... فلا تحتك بما ... (يأكل) آه ! يا الهي العظيم ! يا له من فرق ! « مـا يزال يأكل . » اني على ثقة من انه لم يطعم انسان في العالم مثيلا له ... شحم ... وريش عائم . (يقطع دجاجة .) هاه ! يا لها من دجـاجة !... ناولني اللحم المشوي . اوسيب ، لقد بقي بعض المرق ، المرق ، انه لك . (يقطع اللحم .) اهذا لحم مشوي ! هذا ليس لحماً مشوياً !

الخادم : ما يكون اذن ؟

خليستاكوف : الشيطان يعلم ، لكنني ارى جيداً انه ليس لحماً مشوياً . انه نعل محروق عوضاً من اللحم المشوي . (يأكل .) ايها السفلة ! ايها الخلعاء ! هوذا الطعام الذي يقدمونه لكم . ان المرء يحطم فكه في أكل لقمة منه . (ينظف اسنانه باصبعه .) يا لهم من مزدهين ! كانـا طعامهم قشرة ، يستحيل ابتلاعها ، تسوّد الاسنان . (يمسح فمه بمنشفة .) ألم يتبق منه شي. ؟

الخادم : اطلاقاً .

خليستاكوف : سفلة ! خلعاء ! كيف ، ولا نوع من الخضار ، ولا نوع من الحلويات ! انزال ! اهكذا يعامل النزلاء !

(يمضي الخادم واوسيب بالصحاف .)

المشهد السابع

خليستاكوف ثم اوسيب

خليستاكوف : ويحي ! كأني لم اطعم شيئاً ولم اشرب . ولم يزدني ذلك الى شهية . ولو كان في جيبي شيء مـــا ، لارسلت في طلب رغيف بفلس .

اوسيب (داخلاً) : الحاكم هنـــا ، ويبقى مقابلتك ، وهو يسأل عنك .

خليستاكوف (مرعوبا) : ما تقول ؟ كيف ! ارفع هذا البهيم صاحب الفندق شكواه ! ايبغي الخبيث زجي في السجن؟ يا للشيطان ! لو اني احاول باسلوب نبيل ... لا ، لا ، لا اريد . ان الضباط والاغنياء ، في هذه المدينة ، دأبهم ابداً التسكع . جربت ان أريهم نهج السلوك في المجتمع الراقي ، وبدأت بغمز ابنـــة احد التجار ... لا ، لا ، ليس لذلك من شأن ...ولكن ، كيف تجاسر على ... أأنا تاجر اذن ام صانع ؟ (تركبه الحمية فينهض منتصباً.) هاه ! انا ذاهب لأقول له : أتتجرأ على ... (تدور قبضة الباب : فيشحب لون خليستاكوف ويرتعش.)

المشهد الثامن

خليستاكوف ، الحاكم ، دوبتشنسكي

(يتقـــدم الحاكم خطوة الى امام ويتوقف ؛ ينظر الاثنان ، وقد ركبهما الفزع ، الواحد للآخر فترة من الزمن ، ثم يخفضان انظارهما .)

الحاكم (متمسكا باهداب الشجاعة): صبحت بالخير ، يا سيدي..

خليستاكوف : في خدمتك .

الحاكم : اعذرني اذا ما ...

خليستاكوف : وكيف ذلك ... لا موجب للاعتذار ...

الحاكم : ان واجبي ، كاول قاض لهذه المدينـة ، هو ان اتخذ التدابير اللازمة ، كيما لا يشعر الزوار وجميع الناس الاخيار باي ...

خليستاكوف (متلعثما اول الامر ، ثم متمالكا نفسه فمغلظاً صوته شيئاً فشيئاً) : ما تود ... ان افعل في الامر ... انها ليست غلطتي... سأدفع... سيبعث الي اهلي ... (يشق بوبتشنسكي الباب وينظر) انها بالحري غلتطه : اذ يقدم الي من لحم العجل الذي يشبه الدف قسوة ؛ والمرق...

ان الشيطان يعلم ما وضعوا فيه ، فاضطررت لان ارمي به من النـــافذة . انه يجعلني اموت من الجوع طوال النهار ... والشاي عنده ليس الذي نعرف . فرائحته رائحة السمك ، لا الشاي ... لم ذلك ؟.. هذه قصة...

الحاكم متخوفاً : عذراً ، ايها السيد ، فتلك ليست غلطتي . فالعجل الذي اشري من السوق طيب المذاق دوماً . وبائعوه بعض من تجار « خلموغور » ، وهم اناس شرفاء واخلاقهم طيبة . ولست اعلم من اين اتى بهذا الذي تتحدث عنه . واذا لم يكن ... عندئذ ... اسمح لي بان اقترح عليك تغيير نزلك .

خليستاكوف : كلا ! لا اريد . اعلم جيداً ما تعني بنزلك : انه السجن . ولكن بأي حق ، وكيف تتجاسر ...ذاك انني ... انني موظف ... في بطرسبورغ ... (بخيلاء.) انا .. انا .. انا ..

الحاكم (على حده : أوه ! يا الهي ! كم هو غاضب ... انه على علم بكل شيء ! فقد ذكر له هؤلاء التجار اللعينون كل شيء .

خليستاكوف (يزداد جرأة شيئاً فشيئاً) . لتكن الحاكم اوما شئت ... فلن ارحل . وسأرجع الى الوزارة . (يضرب الطاولة بقبضته .) من تكون ؟ من تكون ؟

الحاكم (تكاد قواه تخور ويرتجف كله) . اواه ! ارجوك ، يا سيد ، لا تضيعني . فلدي زوجة واطفال صغار ... لا

تهلك رجلا منكود الحظ !

خليستاكوف : لا ، لا اريد . إيه ! وما يعنيني انا ان تكون لك زوجة و اولاد ؟ أعلي في سبيل ذلك ان اذهب الى السجن ؟ انظروا معي الى هـذه الحجة الجميلة ! (يشق بوبتشنسكي الباب فينظر وينسحب مذعوراً .) كلا ، كلا ، اشكرك بخشوع . لا اريد .

الحاكم (مرتجفاً) . قلة تجريب ، يا سيد ، قلة تجريب من جانبي ، ونقص في كفاية المكان . يا رب تفضل فاحكم بنفسك . ان الراتب لا يعوض علي ما انفق من شاي وسكر فحسب . واذا كان ثمة من هدايا ، فاحاجك بانها كانت زهيـدة وضيعة ... فبعض حاجـات للمائدة ، او قطعتان من الثياب . اما بخصوص ارملة الضابط المرشح التي كانت تعمل في التجارة ، والتي يقال اني امرت بجلدها ، فتلك وشاية ، يا سيد ، اقسم بشرفي ، انها وشاية . واعدائي هم الذين ابتدعوا ذلك كله . ان اهل هذا البلد شريرون ، وهم متأهبون لقتلي ...

خليستاكوف : حسناً ! ولكن ليس لي انا من امر معهم ... (مفكراً .) لا أعلم ، انا ، لم تتحدث الي عن اعدائك او عن ارمـلة ذاك الضابـط المرشح ... ان قضية ارملة الضابط المرشح ، ليست كقضيتي انا ... فأنا ، لن تجسر على جلدي ... الا تفكر في ذلك على ما يبدو ؟ اعيد عليك قولي ، سأدفع ، سأدفع ... ولكنني

اجد نفسي الآن خـــلواً من النقود . واذا كنت هنا ، فلأني لا املك كوبيكا واحداً .

الحاكم (على حدة) : أوه ! يا له من ماكر ! ترى ما هذه القصة الشيطانية التي يقصها علينا والى اين يود الوصول ؟ ان المرء لا يعرف من اين يأخذ به . لنجرب ، على كل حال ، وليحدث ما ليس في الحسبان ، لنجرب (بصوت مرتفع .) اذا كانت بك حاجة الى مال ، يا سيد ، اولاي امر آخر . فتفضل فكلفني به . ان واجبي هو ان أحسن وفادة الزوار .

خليستاكوف : اذا رغبت في اقراضي بعض الروبـــلات ، فسأرضي بها صاحب الفندق . ويكفيني لذلك مائتـــا روبل ، اقل منها عدداً .

الحاكم (وهو يعطيه النقود) : هي ذي على وجه الضبط مائتا دولار ، لا تكلف نفسك مشقة عدها .

خليستاكوف : الف شكر . سأعيدها اليك من الريف ... انه حادث ... ارى ، يا سيد ، انك رجل كيس مليح ... وهذه قضية اخرى .

الحاكم (على حدة) : الحمدلله ! أخذ النقود . يبدو لي ، اننـــا سنكون عـــلى وفاق . وبدلا من مائتي دولار ، سأدس في يده اربعماية .

خليستاكوف : اوسيب ! (يدخل أوسيب .) ادع الخادم . (الى الحاكم والى دوبتشنسكي .) كيف ذلك ! أأنتما واقفان ! تفضلا علي بالجلوس . (الى دوبتشنسكي .) هيا

اجلس ، اتوسل اليك .

الحاكم : لا تعرنا انتباهك ، فنحن على ما يرام .

خليستاكوف : شرفني بالجلوس ! هاه ! انني ارى كل ماتنطوي عليه طباعك من مودة وصراحة ... وانا الذي تصورت انك آت لـ ... (الى دوبتشنسكي .) اجلس ارجوك . (يجلس الحاكم ودوبتشنسكي ، يشق بوبتشنسكي الباب ويصغي بسمعه) .

الحاكم (على حدة) : هيا ، فعليّ بالمزيد من الاقوام . انه يرغب في ان احترم تخفيه . حسناً ، فنحن على قاب قوسين من التمثيل ولنبد في مظهر من لا علم له بشخصه . (بصوت مرتفع .) خرجت لتفقد بعض شؤون المصلحة ، صحبة بيتر ايفانوفيتش دوبتشنسكي ، وهو من اشراف هذا البلد ، ورغبنا في الدخول الى الفندق لنرى ما اذا كان النزلاء يعاملون بالحسنى ، لانني ، كما ترى ، لست مثل العديدين من الحكام ، الذين لا يتداخلون في مثل هذه القضايا . فانا ، فيما عدا شؤون ادارتي ، وعن مجرد محبة مسيحية ، اود ان ينال كل انسان فان احسن اكرام وترحيب . وانه لخير جزاء لحميتي ان تسمح لي الظروف بالتعرف الى مثلك .

خليستاكوف : فيما يخصني انا ، اقول اني جد مسرور . فلولاك لاكرهت على المكوث هنا طويلا . اذ لم اعد اعرف ما افعل لادفع .

الحاكم (على حدة) : نعم ، نعم ، احك لنا ذلك . ما كنت تعرف كيف تدفع ! (بصوت مرتفع .) هل اجسر على سؤالك الى اي صوب يتوجه سفرك .

خليستاكوف : انني ذاهب الى ولاية سارتوف ، حيث ارضي .

الحاكم (على حدة ، بسخرية) : لعمري انه شجاع ! ويلزمني ان اضبط اقوالي (بصوت مرتفع .) ان الاسفار شيء مثير حقاً ، فحصائص الطريق عديدة ... من ناحية المزعجات التي تسببها الخيل المتأخرة ، ومن ناحية اخرى ... انها لسلوى للفكر عظيمة . لا شك في ان السيد يسافر في سبيل لذة نفسه ؟

خليستاكوف : كلا ، فأبي هو الذي يطلب الي ذلك . اذ يسوء ابي ويكدره اني لم اتقدم في مراتب الوظيفة حتى الآن في بطرسبورغ . وهو يتصور الامر على هذا الشكل : ما ان يصل احدنا ، حتى يُقلد وسام صليب القديس فلاديمير في عروة السترة . ولعمري ان الاجدر به ان يذهب هو ذاته فيغري دار المستشارية بذلك .

الحاكم (على حدة) : هي ذي مصائب اخرى : فهذا الاب ايضاً يفرقنا بصورة ناعمة ... (بصوت مرتفع .) اتفكر في ان تتغيب طويلا ؟

خليستاكوف : في الحق ، لا اعلم . فأبي ... أبي رجل احمق ، عنيد كالبغل ، انه عجوز متقاعد صلب كالخشب . سأقول له بكل بساطة : افعل ما تريد ، فليس في وسعي العيش

خارج بطرسبورغ . ولم اذن أحكم بتزجية عمري مع فلاحين ...؟ كف عن مطالبتي بـــذلك ؛ فروحي ظمأى للمدينة . .

الحاكم (على حدة) : ويحه كيف يعدد شتائمه ، فلا يناقض نفسه. انه يتوهم انه يجرعني جميع قصصه . امض ، امض ، فلم تقع على غرٍ غبي . سأدعك تفعل وتستفيض . (بصوت مرتفع .) الملاحظة التي رغبت في تنبيهنا اليها صحيحة تمام الصحة . فما يفعل الانسان ان كان غارقاً في الجهل والظلمة ؟ فها هنا ، مثلا ، في منطقتنا الصغيرة ، لا ينام احدنا الليل كله ، فيضني جسده في سبيل بلاده ، ولا يترك امراً الا ويقدم عليه ، ودون ان يفكر حتى مجرد تفكير في متى يأتي الجزاء ... (ينقل انظاره في ارجاء الغرفة .) يلوح لي ان هذه الغرفة رطبة بعض الرطوبة .

خليستاكوف : مرزولة ، لا تطاق ! وفيها من البق والفسافس ما لم ار له مثيلا من قبل . فلها انسان كأنها الكلاب .

الحاكم : أهذا ممكن ! رجل من مثل رفعتك يعرض لمثل هـــذا العذاب ، وهذا البق القيزع قليل الادب الذي كان من الافضل الا يوجد على سطح الارض ! — اليست الظلمة شديدة في هذه الغرفة ؟

خليستاكوف : ظلمة مروعة ! وليس من عادة صاحب الفندق ان يعطي زبائنه شموعاً . ان المرء لا يسعه ان يفعل شيئاً هنا . ولقد تحلو لك القراءة ، او تأخذك الرغبة في كتابة

شيء ، فيستحيل عليك ذلك ، ولا تبصر شيئاً .

الحاكم : أأجسر على سؤالك ... ولكن لا لست اهلا ...

خليستاكوف : وما تسأل ؟

الحاكم : لا ، لا ، لست اهلا لهذا الشرف ...

خليستاكوف : ولكن بم تفكر ؟

الحاكم : ذاك اني ، لو اني اجرؤ على ... ففي بيتي شقة لائقة تمام اللياقة ، مضاءة على احسن وجه هادئة ، ويسعدني ان اعرض عليك ... ولكن لا ، انني اشعر بذاتي ان في ذلك شرفاً لي يفوق ما استحق ... واتوسل اليك الاتحنق مما قلت ، فمن بساطة قلبي ، قدمت هذا العرض المكشوف .

خليستاكوف : وكيف ذلك ؟ على العكس ، انني جذل مفتون مما تعرض . ويروقني بما لا يقدر ان انزل على بيت خاص من ان اكون في فندق ريفي .

الحاكم : هاه انك تغمرني بعطفك ولطفك ! ويا له من شرف عظيم لامرأتي ! اما فيما يخصني انا ، فهذا طبيعي ، طبيعي ان لا شيء يسعدني كممارسة حسن الضيافة ، وبخاصة تجاه الوجهاء وكرام الناس . وليس الملق الذي يملي علي ما اقول ، وارجوك ان تؤمن بذلك ، فانا ليست بي هذه النقيصة ، واشكر الله على ذلك ، بل انني اتكلم بقلب مفتوح .

خليستاكوف : اشكرك بخشوع على ما تقول . فلست احب ذوي الوجهين . انني استعذب محبتك وصراحتك ، واما فيما يخصني ، فلا اطلب سوى امر واحد ، هو ان ارى منكم الاخلاص والاعتبار ... الاعتبار والاخلاص .

المشهد التاسع

ذات الاشخاص، خادم الفندق يصحبه اوسيب

(ينظر بوبتشنسكي من الباب المشقوق .)

الخادم : أيطلب سيدي شيئاً ؟

خليبتاكوف : اعطني حسابي .

الخادم : لقد قدمت لك حسابك منذ امد بعيد .

خليستاكوف : اما ازال اذكر حساباتك السخيفة ؟ بكم انا مدين لكم ؟

الخادم : في اليوم الاول ، امر سيدي بعشاء ؛ وفي التالي ، لم يطعم سيدي سوى السمك ، ومن ثم ، اخذ سيدي كل شيء بالدين ...

خليستاكوف : ايها الابله ، أستعود فتبدأ الجمع والطرح من جديد ؟ كم يبلغ ديني بمجموعه ؟..

الحاكم : لا تتعب نفسك بالحساب ، فسينتظر . (الى الخادم .) امض ، فسأسوي الحساب فيما بعد .

خليستاكوف : في الواقع ، انت على حق . (يضع النقود في جيبه ؛ الخادم يخرج . يطل بوبتشنسكي من شق الباب.)

المشهد العاشر

الحاكم ، خليستاكوف ، دوبتشنسكي

الحاكم : الا تستحسن الآن مشاهدة بعض المؤسسات العامة في مدينتنا .. كالملجأ ، مثلا ، او غيره من ...

خليستاكوف : اثمة عندكم ما يستحق المشاهدة ؟

الحاكم : اجل ، فالادارة عندنا ، كما ترى منظمة مرتبة ...وعندنا من التنظيم ما ...

خليستاكوف : ستشرفني هذه الزيارة ! انا تحت تصرفك التام .

(يمد بوبتشنسكي رأسه من الباب المشقوق .)

الحاكم : فاذا رغبت بعدئذ بزيارة الناحية ، فسترى النظام البديع الذي نتبعه هنا في تدريس العلوم .

خليستاكوف : بكل سرور ، بكل سرور .

الحاكم : واذا رغبت بعد ذلك بالدخول الى الغـــابة والى سجن المدينة ، فسترى الطريقة التي نتمشى عليها في حراسة المجرمين .

خليستاكوف : ولم نشاهد السجن ؟ الافضل ان نزور مؤسسات الاحسان .

الحاكم : كما يروقك . ماذا تفضل ؟ أتذهب بعربتك ام تقبل مكاناً في عجلتي الصغيرة .

خليستاكوف : افضل الذهاب معك في عجلتك .

الحاكم : (الى دوبتشنسكي) : لعمري انه لم يبق لك مكان ، يا بيتر ايفانوفيتش .

دوبتشنسكي : لا تعرني انتباهك

الحاكم (بصوت خفيض ، الى دوبتشنسكي : اصغ إلي . اسرع كالطير ، فاحمل بطاقتين ، احداهما لزمليانيكا ، الى الملجأ ، والاخرى الى زوجتي . (الى خليستاكوف .) أأجرؤ على استئذانك بكتابة كلمتين بحضورك الى زوجتي ، كيما تتهيأ لاستقبال ضيف بمثل رفعتك .

خليستاكوف : اوه ! يا سيد ، لا تتعب نفسك ... وبعد ، فهذا هو المكتب ... اما الورق ... لا اعلم ... هاه ! خذ هذا الحساب ، ايمكن ان يفي بالمطلوب ؟

الحاكم : على افضل وجه . (على حدة ، وهو يكتب .) هاه ! سنرى كيف تسير مصالحنا بعد ان يتناول غداء ويتجرع زجاجات ضخمة منفوخة ... فعندنا مبعوث الحكومة ؛ وهو لا يعبىء العين ، ولكنه قد يضلل فيلا . ان بي رغبة عارمة في ان اعلم اي رجل هو ، ومن اي ناحية يجب ان احذره . (يكتب البطاقة ، ويعطيها الى دوبتشنسكي الذي يتوجه الى الباب ، فينخلع هذا من مكانه ويسقط بوبتشنسكي ، الذي كان ملتصقاً به ، على

المسرح معه . استغراب عام . ينهض بوبتشنسكي .)

خليستاكوف : أأصبت نفسك بسوء ؟

بوبتشنسكي : لا شيء ، لا شيء البتة ، ولا اقل شيء ؛ اصابة صغيرة فحسب ، على انفي . ها انذا مسرع الى بيت كريستيان ايفانوفيتش . فعنده لزقة جيـــدة لا يظهر معها الاثر اطلاقاً .

الحاكم (بعـد ان اشار اشارة عتب الى بوبتشنسكي) : (الى خليستاكوف .) لم يحدث شيء . اتوسل اليك ، يا سيد ، تفضل بالمرور ... سأقول لخادمك ان يحمل حوائجك . (الى اوسيب .) ستنقل يا صديقي العزيز ، كل الحوائج الى بيتي ، بيت الحاكم . وسيدلك كل الناس الى الطريق . اتوسل اليك ، يا سيد ... (يمر خليستاكوف من امام ويتبعه ؛ وفي لحظة الخروج ، يلتفت الى بوبتشنسكي بغضب .) هذه قلة ادب ! لكأنه ما كان بوسعك ان تنتقي مكاناً آخر لترمي بنفسك فيـــه على الارض ، وتتمدد هكذا على شكل لا اعرف كيف اسميه !... (يخرج متبوعاً ببوبتشنسكي .)

– نهاية الفصل الثاني –

الفصل الثالث

غرفة في بيت الحاكم

(منظر الفصل الاول)

المشهد الاول

انزا اندريفنا ، ماريا انطونوفنا
(قرب النافذة وفي ذات الاوضاع التي
رأيناهما فيها في نهاية الفصل الاول)

أنزا : ها قد مرت علينا ساعة ونحن بالانتظار ، وكل ذلك بسبب اناقتك الحمقاء ... انها مكسية مكوية على احسن صورة ، لا يجب ان تعاند ايضاً ... هاه ! وتلك التي لا تأتي ! تباً له من سأم ! وليس نفس بشرية ! ان الانسان ليقول ان كل شيء هنا ميت .

ماريا : هيا ، يا اماه ، بعـــد دقيقتين تعرف كل شيء . ستعود آدفوتيا في التو واللحظة . (تنظر من النافذة وترسل صيحة صغيرة .) آه ! يا امي الصغيرة ، امي الصغيرة ، هوذا شخص آت في اقصى الطريق .

انا : ويحك أين ، انك ابداً تتوهمين على هذه الصورة ... صحيح ،

هـالك آت ... من قد يكون القادم ؟... انه ليس مديد القامة ... ويلبس « الفراك » ... من هو ؟ يا لله كم يضجرني الا اعرف من هو .

ماريا : انه دوبتشنسكي ، يا امي الصغيرة .

زنّا : دوبتشنسكي ! هيا ، هيا . ان لك دوماً تصورات من هذا النوع . ليس هـذا دوبتشنسكي . (تحرك منديلها .) هيه ! انت ! من هنا ، تعال ، تعال ، حث خطاك !

ماريا : اؤكد لك ، يا ام ، انه دوبتشنسكي .

انّا : يا لهوى المجادلة والمنـــازعة ! قلت لك انه ليس هـــذا دوبتشنسكي .

ماريا : ولكن بلى ، يا امي الصغيرة ، بلى . انك ترين جيـــداً انه دوبتشنسكي .

انّا : حقاً ، انه دوبتشنسكي . اراه الآن . يا إلهي ! لا مغنم من الجدال من اجل هـذا . (تصرخ من النافذة .) اسرع ، عجل ، ويحك ! انك تسير كالا... ! حسناً ! اين هم ؟ تكلم ! تكلم من هنا !... انك ... وما في ذلك ؟ ماذا .. شديد صارم ؟ هاه ! وزوجي ، زوجي ؟ (وهي تبتعد غاضبة ، عن النافذة .) يا له من احمق ! لن يقول لنا شيئاً حتى يصعد الى الردهة !

المشهد الثاني

نفس الشخصين ، دوبتشنسكي

انا : هيا ، تكلم ، ارجوك . اسألك فقط ان كان تصرفك هذا شريفاً ؟ انا التي لم اكن اعتمد الا عليك وحدك ، كما يعتمد الانسان على رجل عاقل ، فتهرب وتتركنا هنا ، ولا اجد ، منذ ذلك الحين ، من يقول لي قل شيء ! ألا يعلو وجهك الخجل ! انا التي كنت اشبينة ابتيك فانيتشكا وليزانكا ! اهكذا تكون معي ؟

دوبتشنسكي : ايه ! يا رب ، لقد ركضت كثيراً ، يا سيدتي ، لاقدم لك احتراماتي حتى اني لم اتمالك نفسي بعـد ... احتراماتي ، يا ماريا انطونوفنا .

ماريا : مرحباً بك ، يا بيتر ايفانوفيتش .

ازّا : هيا ، تكلم ! ماذا هنالك ؟

دوبتشنسكي : أرسل إليكما انطون انطونوفيتش هذه الكلمة .

ازّا : حسناً ! من يكون ؟ اهو لواء ؟

دوبتشنسكي : لواء ؟ كلا . ولكن له شأن لواء في الواقع . فان له مظهراً ، وتصرفات ، ووقاراً ...

انا : وعلى ذلك ، فهو الموظف الذي اخبر زوجي بمجيئه .

دوبتشنسكي : هو بعينه . وانا اول من اكتشفه مع بيتر ايفانوفيتس .

انا : حسناً ! تكلم ! كنت تذكر ...

دوبتشنسكي : هاه ! انصلحت الامور بعون الله . ففي البدء ، استقبل انطون انطونوفيتش ببعض الشدة . نعم ، واحتد ، وقال ان الامور لا تسير على وجه حسن في الفندق ، وانه لن يذهب الى بيته ، وانه لا يبالي بالذهاب الى السجن من اجله ؛ الا انه ، عندما عرف براءة انطون انطونوفيتش ، وعندما تناقش واياه بعض النقاش ، غير رأيه ، بعون الله ، وانتهى الامر بسلام . لقد ذهبا لمشاهدة مؤسسات الاحسان .. والامر هو ما فكرت فيه ، وانطون انطونوفيتش ، انهما وشاية سرية ... اتعلمين اني اصبت انا الآخر بخوف شديد على نفسي ؟

انا : وما تخشى ، انت ؟ انك لست موظفاً .

دوبتشنسكي : الامر سواء . اتعلمين ، ان الانسان عندما يشاهد شخصية عظيمة مثله وهي تتكلم ، فانه يحس احساساً غريباً في نفسه .

انا : وبعد ، فكيف يكون ؟... هذه كلها اقوال . كيف هو بين الرجال ؟ اذكر لي شكله ، اعجوز ام شاب ؟

دوبتشنسكي : شاب ، انه شاب . ثلاث وعشرون سنة . الا انه يتحدث حديث رجل مسن . فيقول : اذا سمحت لي ،

فسأذهب الى هنا ، وهناك ... (وهو يقوم بحركات .)
هكذا . ويقول: اني استعذب القراءة ، والكتابة؛ وقد
قال : غير ان ما يضايقني هو ان الغرفة معتمة .

انا : ولكن ما لون شعره ؟ أهو اسود ام اشقر ؟

دوبتشنسكي : لا ، انه بالحري كستنائي ، وعيناه من الحدة
بمكان ... كأنهما الشرر ... تتحركان ابداً هكذا ...
ويرسل نظرات كما لو كان الشيطان في جسده .

انّا : لنر ما ينبئني به في كلمته : « أبادر ، يا غرامي اعلامك ،
بان وضعي كان دقيقاً جداً ، غير ان العناية الالهية قد
ارسلت إلي خيارتين مملحتين ونصف حصة من الكافيار ،
الروبلات ، صفر خمسة وعشرون كوبيكا ... » علام
يدل هذا ؟ خيار وكافيار ؟...

دوبتشنسكي : هاه ! فقد استعمل انطون انطونوفيتش ، في
عجلته ، ورقة مكتوبة : ويمكن انه اخذ ورقة حساب
الطعم .

انّا : ايوه ! نعم ، الامر كذلك . (تتابع القراءة .) « غير
ان العناية الالهية جعلت كل شيء ينتهي الى خير . هيئي
باسرع وقت حجرة لضيف ذي بال ، ولكن تلك التي
يوجد فيها الورق المذهب لا موجب لان تتعبي نفسك
بسبب العشاء ، لاننا سنأكل في الملجأ عند آرتيمي
فيليبوفيتش ، غير انه سيلزمنا احضار بعض النبيذ ،
فاطلبي من التاجر آفدولين ان يبعث باطيب ما عنده ،

والا جعلت اعلا قبوه سافلا . اقبل يديك وانا ابـــدأ زوجك انطون شكفورنيك – دموخانوفسكي . » هاه ! يا إلهي ! ليس لدينا لحظة نضيعها ! يا من بالبيت !ميشكا ! ميشكا !

دوبتشنسكي (يعود الى الباب ويصيح) : ميشكا ! ميشكا ! ميشكا ! (تدخل ميشكا .)

انّا : اسمع . امض الى التاجر آفدولين ... تمهل ، سأحملك اليه كلمة صغيرة . (تجلس الى المكتب وتكتب وهي تتكلم .) اعط هذه الرسالة الى سيدور ، الى سائق العربة ، وليذهب بسرعة الى آفدولين ، كيما يعود ببعض النبيذ . وانت ، عليك ان تهيء هذه الحجرة اجمل تهيئة لسيّد آت الى هنا . ضع سريراً ، وطستاً ، الخ ...

دوبتشنسكي : اما أنا ، يا أنّا اندرييفنا ، فذاهب لانظر كيف يفتش هنالك .

انّا : إمض ، إمض ، فلن استبقيك .

المشهد الثالث

انّا اندرييفا وماريا انطونوفنا

انا : هيا يا صغيرتي ، فيجب ان نفكر قليلا بزينتنا. فرجلنا انيق من سادات العاصمة . وليحفظنا الله من ان يجد عندنا ما ينتقده . اما انت ، فأنصحك ان ترتدي فستانك الازرق ذا الكفات .

ماريا : لا يا امي الصغيرة ، الازرق ! انـــه يواتيني : فالسيدة ليابكين تيابكين ترتـــدي الازرق ، وابنـة السيد زمليانيكا ترتدي الازرق هي الاخرى . لا ، سأكون اجمل بفستاني الوردي .

انا : الوردي ! هاه! تقولين ذلك حباً بالمشاكسة! ان ما ذكرت يواتيك اكثر من الوردي بما لا يقاس ، وخصوصا اني سأرتدي فستاني الاصفر . انني مفرحة بهذا اللون .

ماريا : ايه ! يا امي الصغيرة ، لا ترتدي فستانك الاصفر ! انـه لا يناسبك .

نا : اثوبي الاصفر لا يناسبني ؟

ماريا : لا ، يا امي . سأذكر لك ما يحسن بك ان ترتـــدي . فلكي يناسبك اللون الاصفر ، يجب ان تكون عيناك

بلون قاتم مشرَب .

انا : هاه ! حقاً ، هذا كثير ! أليس لون عيني مشرباً ، انا ! ولكنهما على العكس ، جد مشربتين . هل خطرت مثل هذه الفكرة ابداً لانسان ! ليس لون عيني مشرباً ! مع اني كلما نظرت الى طالعي في الورق ، كنت انا دوماً الورقة الرابحة .

ماريا : ايه ! يا امي الصغيرة ، ستكونين احسن من ذلك .

انا : هاه ! هذا كثير كثير جداً ! كثير جـــداً ! « سيدة القلب » ! اين يجول فكرها ! (تخرج مسرعة ، وهي تردد خلف المشهد :) سيدة القلب ! يا لها من فكرة ! لا يمكن للانسان ان يكون اكثر جنوناً من هـذا ! (عندما تخرجان ، ينفتح الباب ويبـدو ميشكا وهو يدفع امامـه الكناسة . يدخل اوسيب من باب آخر حاملا محفظة كبيرة على رأسه .)

•

المشهد الرابع

ميشكا ، اوسيب

اوسيب : اين السبيل الى الحجرة ؟

ميشكا : من هنا ، يا عم ، من هنا .

اوسيب : دعني اتنفس لحظة . آه ! يا حظي التاعس ! صدق من قال : « للبطن الخاوي ليس من حمل خفيف . »

ميشكا : الاقل ، يا عم ، هل اللواء قادم عما قليل ؟

اوسيب : اي لواء ؟

ميشكا : سيدك .

اوسيب : سيدي ؟ اي لواء هو ؟

ميشكا : وكيف ، اليس لواء ؟

اوسيب : لواء ، هاه ! اجل ، ولكن من نوع آخر .

ميشكا : أهو ، أكبر شافاً ام اقل شأناً من لواء في الخدمة ؟

اوسيب : اكبر .

ميشكا : أترى الى هذا ! هوذا سبب البلبلة وتنقيل الاثاث عندنا .

اوسيب : اسمع ، ايها الصغير ، انك على ما أرى فتى شاطر . أليست حواليك قطعة مما يؤكل ؟

ميشكا : هيهات يا عم ، فليس من طعام جاهز يناسبك ، ولكن

تطعم انت شيئاً بسيطاً . واني لاعتقد ان سيدك عندما يجلس الى المائدة ، فإنه يبعث اليك مما يأكل هو نفسه .

اوسيب : ولكن ما عندكم هنا من اشياء بسيطة ؟

ميشكا : ليس سوى بعض مـــن مرق القرنبيط ، والبرغل ، ثم بعض اللحوم المجففة .

اوسيب : أليس من شيء آخر غير مرق القرنبيط والبرغل واللحم المجفف ؟ لا بأس ، سنأكل هذا كله . هيا لنحمل هذه الحقيبة . أيوجد هنا باب آخر ؟

ميشكا : نعم (يحمل الاثنان الحقيبة الى الحجرة الجانبية .)

المشهد الخامس

يفتح بعض موظفي البلدية باب الصدر على مصراعيه . يدخل خليستاكوف ، يتبعه الحاكم ؛ ثم يأتي بعدهما مدير ملاجىء الاحسان ، ورئيس الكلية ، ودوبتشنسكي ، وبوبتشنسكي ، ويحمل هذا الاخير لصيقة على انفه . (يشير الحاكم الى موظفي البلدية لافتاً نظرهم الى قطعة من الورق . على ارض الحجرة . فيسرعون لالتقاطها يدفع بعضهم بعضاً في تعجلهم .)

خليستاكوف : ملجأ فريد ! وما يسرني هنا ، هو انكم تطلعون الزوار على كل ما يمكن ان يزار في المدينة . انهم لم يدعوني لزيارة شيء في المدن الاخرى .

الحاكم : اذا سمحت لنفسي بان ألفت نظرك الى ناحية فسأقول ان موظفي الدولة في المدن الاخرى مشغولون بمصالحهم الخاصة . اما هنا ، فيمكنني ان اقول ، انه ليس لنا سوى هدف واحد ، هو ان نقوم ، بالحمية والجهد ، بتنفيذ رغبات الحكومة الكريمة .

خليستاكوف : كان الغداء فاخراً . هاه ! لقد طعمت كما يجب

ان اطعم . أهكذا تكرمون انفسكم هنا كل يوم ؟

الحاكم : كنا نحتفل بوجود ضيف مجيد .

خليستاكوف : انا ، احب الطعام . لم يعيش احدنا اذا لم تكن غايته جني زهرة الملذة ؟ كيف يدعى ذاك النوع من السمك ؟

المدير (يتقدم) : انه سمك « البردان »

خليستاكوف : سمك لذيذ ! ولكن اين تناولنا الغداء ، افي المستوصف ؟

المدير : قل ذلك اذا رغبت . في الملجأ .

خليستاكوف : ايوه ! نعم ، اذكر ، كانت هناك اسرة . والمرضى ، هل شفوا اذن ؟ لم يكن منهم في الملجأ احد.

المدير : لم يكن قد تبقى منهم سوى عشرة . وخرج الآخرون معافين . ومرجع ذلك روعة النظام الذي يسود الملجأ . وقد يبدو لك من المستغرب اني منذ ان تسلمت ادارة الملجأ ، يشفى المرضى بسرعة كما لو كانوا من الذباب . فما ان يدخل مريض المستوصف حتى يشفى . ولا يعود ذلك للمعالجة فحسب ، بل للنظافة والنظام ايضاً .

الحاكم : أأسمح لنفسي بان اعرض لك الواجبات المنهكة التي يحمل اعباءها مدير هـذه الناحية ... فكم من القضايا والشؤون !... خذ مثلا مختصراً : ادارة ازقة البلدة ، والاشغال العامة ، والشرطة ... وبكلمة واحدة فان اوسع الناس حلماً قد يحطم رأسه على صخرة هذه

المسؤوليات مجتمعة ؛ غير ان الامور تسير كلها هنا بفضل رحمة الرب على احسن وجه . ولو ان الامور تركت لحاكم آخر لامكن ان يفكر في مصالحه الخاصة . اما انا ، اتصدقني فيما اقول ، فاني عندما اتوجه الى مضجعي ، اقول لنفسي : يا إلهي ، تفضل علي برحمتك فاجعل الحكومة تتعرف الى حميتي ونزاهتي واجعلها عليّ راضية .. فاذا كافأتني ام لم تكافئني ، فانني اضع امري بين يديها تفعل في ما تشاء ، ويكون قلبي على الاقل في هدوء وهناءة . انني عندما اشهد مدينتنا وقد ساد النظام جميع اصقاعها ؛ والطرق وقد كنست ، والمساجين في امان تحت الاقفال ، وليس ثمة كثير من السكيرين ... فما ينقصني بعد هذا ؟ ولكن هيهات ! فأنا لا اطلب لنفسي ترفيعاً وتقديراً ! وليس الترفيع والتقدير سوى طُعم خداع ، وليس كل شيء ، مقابل نعمي الفعل الحسن ، سوى غبار وزهو فارغ !

المدير : (على حدة) : يا للمعين ، كيف يثرثر بطلاقة ! يا ليت ربي علق في فمي مثل هذا اللسان الذرب !

خليستاكوف : انك على الحق . وانا ايضاً ، اود من حين الى حين لو... اود لو اقول الحكم والامثال... وانا اقولها في بعض الاحايين نثراً ، واستخرجها في بعضها الاخر شعراً منظوماً .

بوبتشنسكي (الى دوبتشنسكي) يا سلام ما اجمل ما يقول ، وما

اقواه ، يا بيتر ايفانوفيتش ! ما أحلى ملاحظاته ... لا غرو من انه قام بدراسات جليلة .

خليستاكوف : ولكن ، الا يوجد هنا جماعة صغيرة طروب يمكننا ان نلعب معها ، مثلا ، بالورق ؟

الحاكم (على حدة) : ماذا ؟ ايبغي مهاجمتي (بصوت مرتفع .) هاه ! حمانا الله شر الرزايا ! اننا لا نعرف هنا ما تكون مثل هذه هذه الاجتماعات . فأنا بشخصي ، لم يسبق لي قط ان لمست ورقة من اوراق اللعب ... بل اني لا اعرف كيف يكون اللعب ... بالورق . ولا اتمالك نفسي امامه ، فإذا بليت بمشاهدة « الملك الديناري » او ملك اي شيء آخر ، فانني اصاب بوجع في قلبي حق ابصق . وفي مرة من المرات ، ولا اعلم كيف جرى ذلك ، تلهى الاولاد ببناء قصر من الورق ... طيب ! وطوال الليل رحت احلم بهذه الاوراق اللعينة . الله الله ! اني لاعجب للاناس الذين يضيعون وقتاً ثميناً في مشاغل على هذه الشاكلة !

الرئيس : (على حدة) ويل الخادم الماكر ، الذي شلحني البارحة مائة روبل !

الحاكم : انني افضل ، فيما يخصني ، ان استخدم وقتي لصالح الادارة .

خليستاكوف : حسناً ، ومع ذلك ، فانكم ترون ... ان ذلك يتعلق بنظرة كل فرد للأمور . فاذا راح احدنا يغامر بكل مالديه ويده خاوية فانه عندئذ ... هيا هيا ، ان اللعب في بعض الاحيان لذيذ فتان .

المشهد السادس

نفس الاشخاص ، انّا اندرييفنا ، ماريا انطونوفنا

الحاكم : أأجسر على ان اقدم لك عائلتي ؟ هذه زوجي ، وابنتي .

خليستاكوف : لهي سعادة لي بالغة ، يا سيدتي ، اني شاهدتك .

انا : وانها سعادة لي جد بالغة ، يا سيدي ، ان اشاهد رجلا مرموقاً مثلك .

خليستاكوف (يتظرف) : عفوك ، يا سيدتي ، فعلى العكس . ان لقائي بك اعظم اثراً في نفسي انا .

انا : انك تسخر منا ، يا سيدي ؛ فاحتشامك هو الذي يملي عليك ما تتلفظ به . تفضل فحمّل نفسك مشقة الجلوس .

خليستاكوف : يكفيني سعادة ، يا سيدتي ، ان اكون واقفاً بالقرب منك ؛ واذ كنت تطلبين الي ذلك ، فهـا انا اجلس . انها لسعادة عظيمـة ، يا سيدتي ، ان اكون اخيراً جالساً بالقرب منك .

انا : معذرة ، يا سيدي ، فلست اجسر على الاعتقاد ... اظن ان رحلتك الصغيرة قد بدت لك جد رتيبة انت الذي غادرت العاصمة منذ برهة وجيزة .

خليستاكوف : رتيبة ، تلك هي الكلمة . فعندما يكون المرء معتاداً العيش داخل المجتمع ، ثم يجد نفسه على طريق طويل ، انكم تفهمون ما اعني ... الفنادق الوسخة ، ونقص وسائل الراحة ، وخشونة الريف ... ولو لم تعترض طريقي مصادفات كتلك ... كهذه ... (يحدج ببصره أنا اندرييفنا بتظرف .) انها لتنسي الانسان كل ما ...

انّا : في الحقيقة ، لا بد ان يبدو لك ذلك من غير المرغوب فيه ...

خليستاكوف : كيف ، يا سيدتي ؟ اني لاجد في هذه الآونة ان من المرغوب فيه جداً ان ...

انّا : إيه ! يا سيدي ، انك جد طيب . وانا لا استحق الشرف الذي توليني .

خليستاكوف : ولمَ ذلك ، يا سيدتي ؟ انك ، على العكس ، تستحقينه عن جدارة .

انّا : نحن الذين نعيش في العزلة ...

خليستاكوف : اجل ، ولكن للعزلة هضابها ، وسواقيها ... حقاً إنه لا شيء يعدل بطرسبورغ . آه ! بطرسبورغ ! اية حياة حياتها ! قد تظنين انني من الغزاة . كلا فالمدير معي على صداقة حميمة . إنه يضرب على كتفي ويقول لي : حسناً ايها الرفيق ، انتناول العشاء معاً ؟ واذهب الى الادارة لمدة دقيقتين ولمجرد ان اقول : اعملوا لي هذا ، اعملوا لي ذاك . وهنالك مستخدم للكتابات ، حكاك

ورق ... تر ... تر ... تر ... ويروح يكتب . لقد ارادوا ان يجعلوا مني معاونا في كلية . وانا اعلم السبب في ذلك ... ويعدو خادم المكتب خلفي في السلم ومعه فرشاة ، ويقول : اسمع لي ، يا ايفان الكسندروفيتش ، بان امسح حذاءك ... ولكن ، هل انتم وقوف ، ايها السادة ؟ اجلسوا ، اجلسوا ، ارجوكم .

الحاكم : في حضرة رجل من مثل مرتبتك ...

المدير : يجب ان تبقى وقوفاً .

الرئيس : لا نعرنا بالك .

خليستاكوف : ارفعوا الكلفة ايها السادة . اجلسوا ، ارجوكم ، دونما تنبه الى المرتبة . (يجلس الجميع .) انا على العكس ، افعل كل ما في وسعي ان افعل لاتسلل دون ان يتنبه الآخرون الي . ولكن ، مما تريدون ، فذاك يداني المستحيل . فهم يتعرفون دوماً إليّ . ولو اني ذهبت حيثما ذهبت ، لقال الناس : هوذا ايفان الكسندروفيتش يمر . وفي مرة من المرات ، ظنوني المقدم رئيس الحامية ، فخرج جند فصيلة الحرس وحملوا السلاح . وعندها قال لي الضابط ، وكان احد معارفي : ونحن الذين ظنناك المقدم رئيس الحامية ، يا رفيقي !

أنّا : حقاً !

خليستاكوف : وانا أعرف جميع الممثلات الصغيرات ... فأعني شؤون مقطوعات « الفودفيل » ... واشاهد جميع

الممثلين . وصداقتي لبوشكين صميمة . قلت له منذبعض الوقت حسناً ، يا بوشكين ؟ – فقال هكذا: حسناً !... هيه ؟ » انه رجل فريد عظيم .

انا : هاه ! أأنت مؤلف ؟ لكم من المستعذب ان يكون الانسان مؤلفاً ؟ تعمل في الصحف ؟

خليستاكوف : نعم ، فأنا اكتب ايضاً في الصحف . فانا الذي الفت « زواج فيفارو » ، « روبير الشيطان » ، « نورما ». الله ، الله ! فما عدت اذكر العناوين . وكل ذلك في المناسبات ، إذ لم أكن اود كتابة شيء ، ثم جاءني مدير المسارح فقالوا لي : « نرجوك ، يا عزيزي ، اكتب لنا شيئاً ما . » فأخذت افكر . – حسناً . سنرى ، يا اعزائي . – وفي سهرة واحدة ، دبجت ذلك كله وخربشته. انني اكتب بيسر عجيب . فكل ما ظهر تحت اسم البارون دي برامبوس : **البارجة ، الامل ، برقية موسكو** ... كل ذلك من تأليفي .

انا : اهذا ممكن ! كيف ذلك ، اتكون انت برامبوس ؟

خليستاكوف : اجل ، وربي . انا الذي اسوّي لهم حلل اشعارهم . وسميردين يعطيني في سبيل ذلك اربعين الف روبل .

نا : **وبوري ميلوسلافسكي** ، أهي من تأليفك ؟

خليستاكوف : نعم ، من تأليفي .

انا : حزرت ذلك في الحال .

ماريا : ولكن ، يا ام ، لقد كتب على العنوان انها من تأليف السيد زاغوسكين .

انا : هيا ! فقد كنت اعلم جيداً انك لن تضيعي هذه المناسبة لتخطئيني .

خليستاكوف : نعم ، نعم ، هـذا صحيح ، انها لزاغوسكين ، غير ان هنالك **يوري ميلوسلافسكي** ، وهـذه ، من تأليفي انا .

انا : هو ذاك ، انها قصتك التي قرأت . يا لها من كتابة رائعة .

خليستاكوف : سأعترف لكم انني اعيش من الادب . وداري اول دار في بطرسبورغ . ان دارايفان الكسندروفيتش اشهر من ان تعرف ... (يحيي جميع الحضور .) فضلوا علي ، يا ايها السادة ، بزيارتي اذا ما جئتم بطرسبورغ . فانا اقيم فيها ايضاً حفلات راقصة .

انا : اظن ان الحفلات الراقصة التي تقام هناك يسودها ذوق وعناية بالغين .

خليستاكوف : انهـا جد بسيطة ، ولا تستحق ان يحمّل الانسان نفسه مشقة الكلام عنها . فتوضع على المائـدة مثلا ، بطيخة ، — نعم ، بطيخة تساوي ستمائة روبل . ويصلني الحساء في اناثه بالبخار ، من باريس مباشرة . ويكشف الغطاء ... فينتشر عطر لا مثيل له في العالم . وانا اذهب كل يوم الى الحفلات الراقصة . ولنـا ايضاً لعبتنا الخاصة بالورق : وزير الخارجية ، وسفير فرنسا ،

وسفير المانيا ، وانا . آه ! ها هنا ننهك انفسنا ، في هذه اللعبة التي لم يشهد لها احد مثيلا ولا شبيهاً . وعندما يعود احدنا الى بيته ، ويضطر للتسلق حتى طابقه الرابع ، لا يقوى الا على ان يقول لخادمته : ها ! مافروشكا ، اعطني الروب دوشامبر ... ولكن ماذا اقول ؟ نسيت اني اقطن الطابق الاول ... لدي سلم في داري ... اؤكد لكم ان النظر الى غرفتي النصفية يبعث على الضحك. فهناك ثمة كونتات وامراء يصخبون ، ويدمدمون كذباب العسل ؛ فلا يسمع الداخل سوى : ج...ج... ج... وفي احدى المرات دخل وزير الـ ... (ينهض الحاكم والموظفون وقوفاً وقد اهاجتهم الكلمة .) في العناوين يضع لي المرسلون : الى صاحب السعادة ...وفي احدى المرات ، انا الذي سيّرت الادارة . وتلك قصة غريبة . فقد رحل المدير ، الى اين رحل ، لم يكن احد يعلم . وقد جعل الموظفون يتحدثون في الامر بالطبع . من ذا الذي يقوم مقامه ؟ كان هنالك عسكريون برتبة لواء لا يتمنون خيراً من ذلك . وراحوا يجربون ، ولكن ، يا للشيطان، لا ! ليس الامر سهلا . وقد يتخيل احدنا ان المسألة بسيطة ، غير انه عندما يتفحصها عن قرب ... وذهب بهم الشيطان ، ففقدوا النطق والسمع والبصر . وجاءوا الي مستخبرين . وفي الحال تحركت البرُد ، برُد ، برُد ... تصوروا امامكم خمسه وثلاثين

الف معاملة . تباً له من موقف ! أليس كذلك ؟ — تعال استلم الادارة ، يا ايفان الكسندروفيتش ، وانا ، اعترف لكم بان ذلك ازعجني بعض الازعاج ، فارتديت الروب دوشامبر . ولعمري لقد وددت ان ارفض ، ولكن ماذا يقول الامبراطور ؟ وبعد ، فيجب ان اتذكر سجل خدماتي ، اتفهمون ... فقلت لهم ، آخذها وقلت لهم : ولكن ، معي ... ها ! ها ! معي ، يجب الا ... لا تثيروا حفيظتي ... او انني ... حسناً . واخذت طريقي في الحال الى الادارة ... فانبطح الجميع على بطونهم ، وهم يرتجفون كاوراق الشجر . (يرتعش الحاكم والموظفون فرقاً . خليستاكوف يتحمس :) اوه ! انا لا امزح ، انا . ولا اضايق نفسي عندما اوجه لكل منهم ما يستحق من جارح الكلام . حتى مجلس الدولة يخافني . ولمَ لا يخاف ؟ انا رجل ... انا لا احسب حساب احد ، انا ... لاني اكلمهم جميعاً ... انا اعرف نفسي ، انا ، اعرف نفسي جيداً . انا في كل مكان ، انا ، في كل مكان . وفي كل يوم اذهب الى البلاط ... واليوم او غداً سيرفعونني الى رتبة فيلدمارشال ... (يتمايل ، ويكاد يهوى الى الارض لو لم يسنده الموظفون باحترام .)

الحاكم (يتلعثم من الخوف) : سعـ ... سعـ ... سعـ ...

خليستاكوف : (يفيق فجأة) : ما تقول ؟

الحاكم : سه ... سه ... سه ...

خليستاكوف : لا أسمع ... سخافات !

الحاكم : سه ... سه ... عادتك ... سعادتك ... قد ترغب بالاستراحة ... لها حجرة خاصة ، وكل ما هو لازم .

خليستاكوف : استراحة ... سخافات !... هاه!استراحة ،نعم، لا اطلب غير هذا ... غداؤكم ايها السادة ... ها اناذا ، بكل سرور ... سمك لذيذ ! اوه ! يا له من سمك طيب!

(يدخل الغرفة الجانبية يتبعه الحاكم .)

•

المشهد السابع

نفس الاشخاص ، ما عدا الحاكم وخليستاكوف

بوبتشنسكي : هذا رجل ، يا بيتر ايفانوفيتش ! هكذا يعرف الرجال . لم يسبق لي العمر كله ان وجدت في حضرة شخص يماثله هيبة وجلالا . وقد كدت اموت فزعاً . اية رتبة ، تعتقد يا بيتر ايفانوفيتش ، اية رتبة تعتقده يحمل ،

دوبتشنسكي : لعمري انني اعتقد قد يكون برتبة لواء .

بوبتشنسكي : وانا ، اقول ان اللواء لا يبلغ كعب رجله ، فاذا كان لواء ، فانه رئيس بين الالوية . أسمعت كيف يلعّب مجلس الدولة على اصابعه ؟ هيا ، هيا نحدث بذلك كله آموس فيدروفيتش و كوروبكين . الوداع يا أنـــا اندرييفنا .

دوبتشنسكي : الوداع ، يا صديقي . (يخرجان .)

المدير (للرئيس) : اتعلم ان هذا مرعب ؟ وخصوصاً ان احدنا لا يعلم من اين ستقع عليه الضربة . ونحن الذين لم نرتد بعد اللباس الرسمي ! وهو الذي سيسطر شكواه الى بطرسبورغ ، حالمـــا يستيقظ !... الوداع يا سيدتي . (يخرج والرئيس غارقين في التفكير وقـــد بلغ منهما التوتر اشده .)

المشهد الثامن

أنّا اندرييفنا ، ماريا انطونوفنا

انّا : هاه ! يا لحسنه من شاب .

ماريا : وكم هو لطيف يُحب !

انّا : ويا لتصرفاته الفاتنة ! بمثلها يعرف متأنقو العاصمة . ثم بشاشته ، وهذا كله ... إنه عـــذب لذيذ ! وانا مجنونة بامثاله من الشبان ! وشرفي إنهم يفتنونني ! وقدلا حظت تماماً اني وقعت عنده موقعاً حسناً ... فلم يكف عن التحديق بي .

ماريا : آه ! يا امي الصغيرة ، لقد حدق بي انا الاخرى طويلا .

انّا : الله ! الله الله ! هي ذي امامي بحماقاتها ! ولكن ذلك يخرج عن العرف والاخلاق الحميدة .

ماريا : ولكن بل ، يا أمي الصغيرة ، لقد حدق بصره بي .

انّا : يا رب ! يا رب ! استعاودين المجادلة ! يكفيك من يومك ما فعلت . هو ، ينظر اليك ! وعلام ينظر اليك ؟

ماريا : بلى ، يا ام ، نظر الي . ولما بـدأ بالتحدث في الادب ، نظر عنـــدها الي ، ومن ثم لما روى كيف كان يلعب

بالورق مع السفراء ، عندها ايضاً نظر الي .

انّا : يا للسعادة ، يمكن انه فعل مرة واحدة ... ويمكن انه قال في نفسه : هيا ، لننظر اليها مرة واحدة .

المشهد التاسع

الاثنتان ، الحاكم

الحاكم (سائراً على رؤوس الاصابع) : شش ! شش !

انا : ما هناك ؟

الحاكم : لست مغتبطاً لتجرعه كل ما تجرع من شراب . ومع ذلك ، فاذا كان نصف ما ذكر صحيحاً فحسب !... (وفي مظهر التفكير العميق) إيه ! وكيف لا تكون اقواله صحيحة ؟ ان الرجل الذي يكثر من الخمر يفضح جملة اسرار ، وما في مكنون قلبه يصعد الى اللسان . اجل ، فقد كذب علينا كذبات صغيرة ... ولكن اذا لم يكذب الانسان ، فكيف يتحدث عن امر ؟ انه يلعب مع الوزراء ويذهب الى البلاط ... هوه ! كلما امعنت ذهني في هذا الامر... الشيطان يعلم من هو بين الرجال . اما انا ، فرأسي تدور ، واشعر كأني على قمة ناقوس ، او كأنهم مقدمون على شنقي .

انا : اما انا ، فلم يتسرب الي الخوف لحظة واحدة . ولم ارَ في إهابه سوى شاب من شباب المجتمع الراقي ، يتحلى بارفع

الصفات . ويكفيني ما رأيت ، ولا تهمني منه الرتبة التي قد يحمل .

الحاكم : اؤلاء هن النسوة ! — يكفيك ما رأيت ، انت ، فلا تطلبين ابعد من ذلك مطلباً . — عبث ولغو ! ولا حيلة للانسان في ان يتنسم منكن شيئاً آخر . ويأتي من يسلخ جلد زوجكن : فلا تعدن تتعرفن الى اسمه ... انت ، يا قلبي ، كنتِ تكلمينه براحة ويسر كما لو كان امامك رجل من شاكلة دوبتشنسكي .

انا : نصيحتي انا اليك الا تتنكّد لذلك . فنحن اصبحنا نعلم شيئاً ... (تنظر الى ابنتها بحنان ومحبة) .

الحاكم : لا سبيل الى التحدث معهن ... آه ! يا لها من مغامرة ! لم استرد بعد انفاسي لما اصابني من اضطراب . (يفتح الباب .) ميشكا ، ادعي لي شرطيي البلدية سفيستينوف ودرجيموردا ، ويغلب ان تجدهما في الجوار يطوفان حول الباب . — (بعد فترة صمت .) لقد اضحى سير الامور في العالم غريباً هذه الايام . ولو ان احدنا كان بوسعه ان يتحقق من الناس ... ولكن هذا النحيف الاهيف ، من كان يحذر من يكون ؟ ان العسكريون لهم على الاقل هيئة خاصة ، فاذا ما لبسوا اللباس البورجوازي بدوا كالذباب قصصت اجنحته ... ولكن لمَ اتخذ المطعم لهم نزلاً ؟ وتلك التصرفات المبهمة ، وتلك الرموز التي كان يشير بها إليّ قبل قليل . . الشيطان

نفسه لا يفهم مكنون معانيها . ومع ذلك فقد فضح بنفسه اخيراً امر نفسه . . بل اكثر مما كان يلزمني ان يفعل . حقاً انه شاب فتي .

•

المشهد العاشر

نفس الاشخاص ، اوسيب

(يهرع الجميع اليه ويشيرون اليه باصابعهم)

ازّا : تعال لحظة الى هنا ، يا عزيزي .

الحاكم : شش ... حسناً ! هل ينام ؟

اوسيب : لم ينم بعد . وقد مدد جسمه قليلا .

ازّا : ما اسمك ، يا صاحبي ؟

اوسيب : اوسيب ، يا سيدتي .

الحاكم (الى زوجه) : لحظة قصيرة ! (الى اوسيب .) هيه ، حسناً ! هل قدموا لك عشاء طيباً ، يا بطل ؟

اوسيب : على اكمل وجه ، يا سيدي . لقد قـــدموا الي عشاء طيباً ، اشكرك .

ازّا : انبئني اذن ، ان سيدك كثيراً ما يقابل كونتات وامراء ، فيما اظن ؟

اوسيب (على حدة) : وماذا أجيبها ؟ لقـــد قدموا لي طعاماً طيباً ، فاذا قلت نعم ، فسيزيد طعامي جودة . (بصوت مرتفع .) نعم ، ويأتينا ايضاً كونتات .

ماريا : اوسيب ، يا فتاي ، انني لاعجب بلطف سيدك !

انا : اخبرني اذن ، يا اوسيب ، ارجوك ، كيف يـ ...

الحاكم : الزما الصمت ، محبة بالله ! انكما تشوشاني بأسئلتكما الحمقاء فيما ابغي سؤال عنه . — حسناً ، يا فتاي المقدام ...

انا : وأية رتبة يحمل سيدك ؟

اوسيب : رتبته ، هكذا ...

الحاكم : بئس الثرثرة التي تثرثران ! فما من كلمة مما تعرفان تصيب المطلب المقصود . اخبرني ، يا فتاي المقـــدام ، هل سيدك .. قاس شديد ؟ ها ... ايهوى التوبيخ ، ام هو ممن طابت سريرتهم ؟

اوسيب : وما العمل ؟ انـه يود ان تسير الامور كلها على خير وجه . ويحسن بالانسان ان يتبـع معه الطريق السوي .

الحاكم : تعجبني سيماؤك . ولا اعتقد الا انك فتى مقدام . فاذا ..

انا : قل يا اذن ، يا اوسيب ، عندما يرتدي سيدك ألبسته ...

الحاكم : آه ! الا هـــدنة مع توافهكما ! يا لها من سخافات ، اذ تكون المسألة مسألة حياة او موت . (الى اوسيب .) نعم ، يا عزيزي ، انك تعجبني كثيراً . لنأخذ طريقنا ، اراهن على ان وقتك اضيق من ان تتجرع قدحاً من الشاي صغيراً . ولذلك فشايك ابداً بارد . خذ ، هذان هما روبلان لتشري بهما لنفسك بعض الشاي .

اوسيب : اجزل لك الشكر ، يا سيدي . ليحفظ عليك الله الصحة . ان الفقراء بحاجة الى العون والمساعدة .

الحاكم : الشكر لك . فأنا راض كل الرضى . ولكن اخبرني ..

انّا : اصغ الي ، يا اوسيب ، ما لون العيـــون الذي يفضله سيدك عن غيره ؟..

ماريا : اوسيب ، يا صديقي العزيز ، انني معجبة بانف سيدك الجميل الصغير !

الحاكم : كفى ، كفى ! اسمحا لي ان ... (الى اوسيب .) اود لو اعرف ما الذي يستأثر باهتمام سيدك ، على الطريق ، وما هو الامر الذي يروقه اكثر من غيره .

اوسيب : انـه يرغب في الاطلاع على سير الامور ... ويحب خصوصاً ان تحسن وفادته ، ويطيب طعامه .

الحاكم : يطيب طعامه !

اوسيب : اجل . وحتى طعامي انا ، انا الذي ارفع من مجرد عبد من عبيد الارض . وهو يريد لي ايضاً الراحة . ويشهد الله انه قال لي يوماً ، وقد كنا في مكان من الامكنة : اوسيب ، قل لي ، هل انت في غبطة من امرك ؟ هل احسنوا معاملتك ؟ — فقلت : اسماؤهـــا يا صاحب السعادة . — قال : هاه ! انهم اذن خبثاء ، هؤلاء الذين نزلنا عليهم . ذكرني بذلك عندما اعود . — قلت : حسناً ، هذا رجل يعرف شأنه . اما انا فلا اتداخل اي امر .

الحاكم : احسنت احسنت . انك تجيب على خير وجه . اعطيتك عن الشاي ؛ خذ ، فهذا عن الكعك .

وسيب : هوه ! يا مولاي، غمرتني طيبة قلبك. سأشربه بصحتك.

انّا : خذ ، يا اوسيب ، خذ هذا لك .

ماريا : اوسيب ، يا فتاي المقدام ، خذ ، فاشرب بصحة سيدك.
(يسمع صوت خليستاكوف وهو يسعل في الغرفة المجاورة .)

الحاكم : شش ! (يسير الجميع على رؤوس الاصابع ويتكلمون في خفوت .) ليبارككما الله على كل هذه الضوضاء التي تثيرانها ! اخرجا من هنا ، لم تتسكعان بحق الشيطان ؟

انا : هيا نخرج ، يا بنيتي ، فلدي ما اقوله لك مما لاحظته على ضيفنا ، ولا يمكن ذكره الا فيما بيننا .

الحاكم : اما تفتآن تتكلمان . اسمع ! تعال ! اخبرني ! آه ! تسلخت اذناي . (الى اوسيب .) يا عزيزي ...

المشهد الحادي عشر

نفس الاشخاص ، درجيموردا ، سفيستينوف

الحاكم : صه ! تبا لاولئك الدببة المشوهين ولجزماتهم . ليظن المرء لدى كل خطوة يخطونها ان ثمة عربة تفرغ شحنتها البالغة اربعين قنطاراً مما لا اعرف . وحق الشيطان ، الا قلتما لي ما جئتما تفعلان هنا ؟

درجيموردا : لقد امرونا بأن ...

الحاكم : صه ! (يضع يده على فمه .) الا سحقاً للغراب ونصيبه . لقد امرونا ! ليتخيل الانسان ثوراً يخور في برميل خمرة. (الى اوسيب .) انت ، يا عزيزي ، هيء كل ما يلزم سيدك من حاجات ، وتصرف ،لذلك بكل ما في الدار. (يخرج اوسيب .) انتما الاخران ،قضا غسساً على السلم، ولا تبرحاه قيد قدم . واعملا على الا يدخل اجنبي هذا المكان ... وخصوصاً التجار ... فاذا تعستما فمرق واحد منهم فحسب ، فسأ ... واحذراه ، خاصة ، من ان يأتي اي انسان ومعه عريضة او شكوى ... وحتى عندما لا يكون ثمة عريضة ... فلا تدخلا انساناً يبدو لكما كأنه يود رفع عريضة ضدي . تلقياه عني هكذا ... بقوه ...

بصرامة .. (يشير اشارة تدل على الضرب بالقـــدم .) اتسمعان ما اقول ؟ صه ! صه ! (يخرج عـــلى رؤوس الاقدام وهو يصرف شرطيي البلدية .)

- نهاية الفصل الثالث -

الفصل الرابع

حجرة في دار الحاكم

(منظر الفصل الاول)

المشهد الاول

رئيس الملجأ ، القاضي ، مدير البريد ، العميد ، بوبتشنسكي دوبتشنسكي .

(يرتدي الجميع افخر الالبسة ، ويدخلون بتحذر على رؤوس الاقدام . يمثل هذا المشهد كله بصوت خافت .)

القاضي (بعد ان صفهم على نصف دائرة) : اعوذبالله ! ايها السادة ، اسرعوا فتدوّروا ، والزموا النظام خاصة . ليباركه الله ! انه يتردد على البلاط ، ويشوّط الغضب بمجلس الدولة ! لنقف موقف الاستعداد ، ايها السادة ، في نظام العراك . انت ، يا بيتر ايفانوفيتش ، قف في هذا الصوب ، وانت يا بيتر ايفانوفيتش ، قم حارساً ههنا .

الرئيس : اذا سمعت ، يا آموّس فيدوروفيتش ، فيلزمنا من كل بد ان نقوم بمحاولة ما .

القاضي : أية محاولة ؟

الرئيس : انك لتعلم جيداً ما اعني .

القاضي : انسأل خاطره ؟..

الرئيس : اجل يحسن بنا ان نسأل خاطره

القاضي : قضية خطيرة . ويكفيه ان يرسل الصيحات العاليات.. انه موظف في المصالح العامة ... ما رأيكم لو تقدمنا اليه بشيء على صورة هدية ، او تذكار ، من جانب الطبقة النبيلة ؟...

مدير البريد : او لعلنا نقول له : هي ذي نقود جاءت لتوّها في البريد ، ولا نعرف لمن هي .

الرئيس : احترز من ان يبعث بك من البريد الى ما هو ابعد . اعيروني سمعكم . ما هكذا تجري الامور في حكومة منظمة تنظيماً حسناً . لم أتينا الى هنا طابوراً كاملا ؟ انه ليحسن بنا ان نأتي منفردين ، وعندها ، فيما بين عيون اربع ... نقضي القضية . من منكم يعرف شيئاً في هذا الشأن؟. هكذا تسير الامور في الصحبة الطيبين . اسمع، انت ، يا آموّس فيدوروفيتش ، عليك انت ان تبدأ .

القاضي : يحسن بك كثيراً ان تبدأ انت . فقد نزل المفتش العام عندك وطعم زادك .

الرئيس : كلا ، ثم كلا ، ليكن اذن لوكالوكيتش بوصفه معلم الجيل الصاعد .

العميد : اوه ! لا يسعني ذلك ، يا سادة ، لا يسعني ذلك . اعترف لكم اني مذ أحمل على التحدث الى موظف من رتبة مرتفعة بعض الشيء ، افقد رشدي ، ويغلظ لساني كما لو

انه اوقر بالوهل. كلا ، يا سادة ، اعفوني من هذه المهمة، ابتهل اليكم ان تعفوني منها .

الرئيس : هيا ، يا آموس فيدوروفيتش ، فان لم تقدم انت ، لم يقدم منا احد . ونحن على علم بان « شيشرون » كله قابع على رأس لسانك .

القاضي : هيه ! هيه ! شيشرون، او تظن ذلك ! فلو انني ارخيت لنفسي العنان قليلا في تحديثه عن كاب من كلاب الصيد، او عن سلوقي كبير ...

الجميع (يحيطون به) : لا ، لا ، انت لا تعرف الكلاب فحسب ، بل تعرف كيف ترتب عشاء ... لا ، يا آموس فيدوروفيتش ، لا تتخاذل . كن لنا أباً ... لا ، يا آموس فيدوروفيتش .

القاضي : عفوكم ، يا سادة ... (في تلك اللحظة ، يسمع وقع مشي ، وصوت سعال وبصق في حجرة خليستاكوف . يهرع الجميع بلا انتظام نحو الباب ، فيتزاحمون ويعوق بعضهم بعضاً عن الخروج. غير انهم، مع ذلك ،يتوصلون الى الخروج ، ولكن بعد عدة حوادث طفيفة . تسمع بعض الهتافات المخنوقة .)

صوت بوبتشنسكي : آي ! بيتر ايفانوفيتش ! بيتر ايفانوفيتش ، انك تدوس على قدمي !

صوت الرئيس : آه ! عونك اللهم ! يا سادة ... آه ! دعوني بروحي على اقل تقدير ... انكم تخنقونني ! مـــا عدت اتحمل . (تسمع غير ذلك بعض التعابير الاخرى : اوه ! آي ! الخ.؛ واخيراً يخرج الجميع ، وتظل الحجرة خاوية.)

المشهد الثاني

خليستاكوف (بمفرده ، وعيناه عينا شخص نام طويلا) : يلوح لي اننا غفونا كما يجب . من اين اتوا بكل هذه الافرشة والالحفة ، فقد اضحيت غارقاً في العرق . وبالامس جعلوني ازدرد ما لا اعلم على ذاك العشاء .. فرأسي منه ما تفتأ تدوي وترن . لعمري ان ثمة مجالا لتزجية الاوقات حلوة في هذا البلد . وانا اهوى الناس الطيبين ، واهوى منهم ان يعاملوني عن حسن نية وطوية لا عن مصلحة يرجون قضاءها . وابنة الحاكم بعد ليست رديئة ، وامها قد احتفظت برونقها على احسن صورة ، حتى ليمكن... لا ، لا اعلم ، فأنا اشفق بهذا الضرب من العيش .

المشهد الثالث

خليستاكوف ، القاضي

القاضي (على حدة ، داخلا) : الهي ! الهي ! اقـــرن مسعاي بالتوفيق ! ركبتاي تتخاذلان تحتي . (عالياً ، بعد ان حيا . وانتصب في وقفة رسمية .) إئذن لي بأن اتجرأ فاقدم لك واجب احترامي . انا قاضي الناحية ، ومعاون رئيس الكلية ليابكين – تيابكين .

خليستاكوف : تفضل بالجلوس . هاه ! أأنت قاضي البلدة ؟

القاضي : منذ عام ١٨١٦ . فقد أنابتني طبقة الاعيان عنها لمدة ثلاث سنوات ، وابقيت منذئذ في هذه الوظيفة .

خليستاكوف : اهو منصب جيد كونك قاضياً ؟

القاضي : بعد أن فوضت ثلاث مـــرات لثلاث سنوات ، نلت وسام القديس فلاديمير من المرتبة الرابعة ، وتلقيت تهاني الحكومة . (على حدة .) المال في يدي ، اني لاحس اني قابض على فحم .

خليستاكوف : احب وسام القديس فلاديمير ، وأرى انه يفضل وسام القديسة آن من المرتبة الثالثة .

القاضي (مقدماً يده المغلقة ، ثم ساحباً اياها ، على حدة) : يا الهي ! لا اعلم اين أنا ؟ اشعر كاني قاعد فوق جمر .

خليستاكوف : ماذا هنالك في يدك ؟

القاضي (يفتح يده على مثل السهو والغفلة فتسقط منها ورقة مالية على الارض) : لاشيء ، يا سيدي .

خليستاكوف : كيف تقول لاشيء ؟ لقد اسقطت ورقة مصرفية.

القاضي (مرتعشاً بكل اعضائه) : أوه ! لا ... لا شيء (على حدة .) آه ! يا رب ! هأنذا على كرسي الاعتراف . وها هي ذي العربة راحلة الى سيبيريا .

خليستاكوف (متناولا الورقة) : لقد قلت ذلك . إنها ورقة مصرفية .

القاضي (على حدة) : آواه ! كل شيء انتهى ! لقد مت !

خليستاكوف : قل يا صاحبي ، عساك تتلطف فتعيرني اياها .

القاضي (على عجل) : وكيف لا ! وكيف لا ... قدمها باعظم غبطة . (على حدة .) آه ! تشجع ! تشجع ! يا والدة الآله عظيمة التقديس ، انقذيني من هذه الورطة .

خليستاكوف : القضية فيما ترى ، هي اني احتجزت على الطريق ، وبعد ذلك ... ومذ ابلغ داري ، سأعيد اليك مالك .

القاضي : عفوك عني .. ومعذرة .. انه لشرف عظيم لي .. فجهودي المتواضعة ، واخلاصي وحماستي في سبيل مصالح الادارة ... سأكد ابداً واعمل .. ان تكون المصلحة .. (ينهض ، فيقف وقفته الرسمية ، واضعاً خنصره على مخيط البنطال .) لا اتجرأ على اضاعة اوقاتك الثمينة اكثر مما فعلت . ألديك بعض الاوامر تصدرها اليّ ؟

خليستاكوف : اية اوامر ؟

القاضي : اعني بعض الاوامر الخاصة بمحكمة البلدة .

خليستاكوف : ولمَ ذلك ؟ ليس لي فيها من شأن . كلا ، اشكرك من صميم فؤادي .

القاضي : (يحيي وينسحب . على حدة ، وهو خارج) : معركة رابحة !

خليستاكوف : (بعد ان شيعه) : لهذا القاضي رجل مهذب !

المشهد الرابع

خليستاكوف ، مدير البريد (في ابهى حلة)

المدير (وقفة رسمية ، اليد على غمد السيف) : ائذن لي بان اتجرأ فأقدم لك واجب احترامي . انا مدير البريد ، ومستشار المحكمة ، شبيكين .

خليستاكوف : اهلا بك ومرحباً . احب كل المحبة صحبة الجماعة اللطاف . اقعد . انقطن دوماً ههنا .

المدير : نعم يا سيدي .

خليستاكوف : مدينتكم الصغيرة تعجبني . ولاخفاء في ان ساكنيها ليسوا من الكثرة بمكان كبير . ولكن ، ما تفعل ، فليست العاصمة . ألستُ على حق ؟ انها ليست العاصمة .

المدير : انك على حق كل الحق .

خليستاكوف : ولست تجد في العاصمة اللحن العذب . اذ ما من اوز على شاكلة الريف . ماتقول في ذلك ؟اليس صحيحاً ؟

المدير : صحيح كل الصحة . (على حدة) ليس فخوراً على اقل تقدير ، وهو يتحدث في كل أمر .

خليستاكوف : : حسناً ! أترى يا صاحبي ، قد يسع الانسان بعدُ ان يتدبر اموره في مدينة صغيرة فيعيش عيشة هانئة

سعيدة .

المدير : تلكم هي بالضبط نظرتي الى الحياة .

خليستاكوف : يسرني ويرضيني انك على مثل الرأي الذي ارى. يقولون اني فذ غريب ، غير ان لي آرائي ، انا ...(ينظر اليه نظرة ذات معنى ؛ على حدة) ماذا لو اقترضت نقوداً من هذا المدير؟ (عالياً) جرت لي حادثة غريبة. فقد احتجزت طويلا في الاسفار . افلا يسعك اعارتي ثلاثمائة روبل ؟

المدير : كيف لا ! كيف لا ! اقدمها بابلغ سعادة ! ها هي ، يا سيدي ، انا تحت الامر .

خليستاكوف : الف شكر . فأنا ، كما ترى ، لااحب ، قبل كل شيء ، حرمان نفسي في الاسفار من كل مـــا تطلب وتشتهي ، وبعد ، فمن جهـــة اخرى ... الست ترى هذا الرأي ؟

المدير : بالضبط . (ناهضاً ، وفي الوضع الرسمي) لا أتجرأ على اضاعة اوقاتك الثمينة اكثر مما فعلت . الديك بعض الملاحظات التي ترغب بتوجيهها الي حول مصلحة البريد؟

خليستاكوف : لا شيء البتة . (مدير البريد يحيي ويخرج .- خليستاكوف بمفرده ، وهو يشعل سيغاراً .) ان مدير البريد هذا ايضاً ، على ما يبدو لي ، رجل طيب . وهو خدوم على الاقل . على هذه الصورة احب ان يكون الناس .

المشهد الخامس

خليستاكوف ، العميد

(ويدفعه رفاقه الى الحجرة)

صوت (متوجهاً الى العميد) : وفيم انت خائف ؟

العميد (مرتعداً وفي الوضع الرسمي) : ائذن لي بان اتجرأ فاقدم لك واجب احترامي . انا عميد الكلية ، والمستشار المعتمد خلوبوف .

خليستاكوف : اهلا بك ومرحباً . اقعد ، اقعد . أبك رغبة في سيغار ؟

العميد (على حدة ، وهو ما ينفك مرتعداً) : آه ! يا إلهي ! فهذا الشيء الوحيد الذي لم افكر فيه . ايحسن بي القبول ام الرفض ؟

خليستاكوف : خذ ، خذ . انه سيغار لذيذ . ليس بالطبع بجودة ما لدينا في بطرسبورغ . اتعرف ، يا ابتي الصغير اني كنت ادخن هنالك سيغارات ، المائة منها بخمسة وعشرين روبلا . تناول ، هذه هي النار ، دخن لي هذا .

(يحاول العمدة التدخين ، وهو ما ينفك مرتعداً .) ولكنه ليس الطرف المطلوب .

العميد (يرمي سيغاره مذعوراً ، ويبصق ويضطرب بقلق) :

(على حدة) ليذهب بي الشيطان ! يا للمهابة اللعينة !

خليستاكوف : لست من الهواة على ما ارى . اعترف انا بان هذه نقطة الضعف فيّ . ولعمري اني ايضاً لا اقف من الجنس اللطيف ، موقف اللامبالاة . وانت ؟ اي منهن تقع عندك موقع التفضيل ، السمراوات ام الشقراوات ؟ (العميد ينعقل لسانه من الدهشة) هات نرى ، اذكر بصراحة : أأنت مع السمراوات ام الشقراوات ؟

العميد : لا اجرؤ على ...

خليستاكوف : لا ، لا ! أفصح عما في نفسك . اريد معرفة ذوقك .

العميد : سأتجرأ فألفت نظرك ... (على حدة .) لا اعلم ما اقول . رأسي تدور .

خليستاكوف : آه ! لا ترغب في الافصاح عن شيء . هيـا ، اراهن ان ثمة سمراء صغيرة قد لعبت عليك دوراً من ادوارها . أمّن على ما اقول . (العميد يلزم الصمت) آه ! ها انت تحمرّ . اترى ، اترى ! لم تمتنع اذن عن الكلام ؟

العميد : ان بي لخشية يا سيد ... يا مولا ... ياصاحب السعا... (على حدة) يا للساني اللعين !.. يا للساني الخائن !

خليستاكوف : ابك رهبة ؟ حسناً ! فواقع الامر ان في عيوني ما يرهب . وفي علمي التام ، انه ليس في وسع انسان في مقتبل العمر ان يواجه نظرتي ! اليس كذلك ؟

العميد : يقينا .

خليستاكوف : اني لاجد نفسي في موقف حرج جداً، اذا لهوت على الطريق . اليس في وسعك ان تقرضني ثلاثمائة روبل؟

العميد : (على حدة ، ساحباً محفظته وهو يرتعد) : كيف لا ! كيف لا ! هي ذي ! هي ذي ! (يناوله اوراقاً نقدية وهو يرتعد)

خليستاكوف : امحضك شكري البالغ .

العميد : لا أتجرأ على اضاعة اوقاتك الثمينة اكثر مما فعلت .

خليستاكوف : وداعا .

العميد (على حدة ، وهو هارب عدواً) : آه اشكر الله اذ لم يزر الصفوف !

المشهد السادس

خليستاكوف ، رئيس الملجأ

(في اللباس والقيافة الرسميين)

الرئيس : ائذن لي بان اتشرف فاقدم لك واجب احترامي . انا رئيس مؤسسات الاحسان، مستشار المحكمة ،زمليانيكا.

خليستاكوف: مرحبا بك. تفضل فحمّل نفسك مشقة الجلوس .

الرئيس: تشرفت بمصاحبتك واستقبالك في المؤسسة المنوطة باشرافي.

خليستاكوف : اي ، نعم ، اعرف .وقد قدمت لناغداء فاخراً.

الرئيس : سعيد انا باخلاصي في خدمة بلادي .

خليستاكوف : من اللازم ان اعترف لك بضعفي ، فأنا احب المأكل الطيب . ولكن قل لي ، يلوح لي انك قد كبرت عن الامس ، اليس ذلك حقاً ؟

الرئيس : قد يمكن . (بعد فترة صمت) انا يا سيدي لا التمس لنفسي حاجة البتة واعمل بكليتي خـــدمة المصلحة . (مقرباً كرسيه ومتكلماً في خفوت) لا على شاكلة مدير البريد الذي لا يأتي امراً البتة . فكل شأن يهمل ، والطرود تحتجز ... تفضل فتحقق من قولي بنفسك . هناك القاضي ايضا ، وقد سبق مجيئي هنا بقليل ، ولا يفكر ، بغير ملاحقة الارانب : فيـــأتي بكلابه دار

المحكمة ، وسلوكه – اذ يجب ان اطلعك عليه ، ومصلحة البلاد تقتضيني الاقدام على هذه الخطوة معك – سلوكه اسوأ سلوك . يوجد هنا ملاك ، هو المدعو دوبتشنسكي ، وقد حظي بشرف المثول امامك ، واذ كان دوبتشنسكي هذا خارج البيت على الدوام ، فالقاضي يجالس لذلك زوجه ويؤانسها ، وانا مستعد لرفع يدي ... اسمع ، يكفي ان تنظر الى اولاده . فما من واحد منهم يشبه دوبتشنسكي . وكلهم ، حتى صغيرته الاخيرة ، كانما بصقهم القاضي .

خليستاكوف : آه ! ها ! ما فكرت في ذلك قط .

الرئيس : ولنأخذ على سبيل المثال ، عميد كليتنا ... لا افهم انا السبب الذي حدا حكومتنا على اناطة مثل هذه المهمات به . فليس له بين الثرثارين نظير ، بالاضافة الى انه يبث الناشئة مالا يمكنك تصوره من المبادىء الكريهة . ولعلي ، اذا طلبت الي ذلك ، ان اضع كل ما قلت كتابة .

خليستاكوف : ضعه ، ضعه . سيسرني منك ذلك . فانا اهوى كما ترى ، قراءة ما يلهي ويسلي ، اذا ما داخلني الملال ... اتود اعادة اسمك على مسمعي ؟ لقد نسيته .

الرئيس : زمليانيكا

خليستاكوف : اي ، نعم ، زمليانيكا . وقل لي ، هل لك اولاد ؟

الرئيس : في خدمتك . خمسة ، اثنان منهما كبيران .

خليستاكوف : هيه ! كبيران ! وكيف .. هل ..

الرئيس : لعلك راغب في معرفة اسمائهم ؟

خليستاكوف : اي ، نعم ، ما تدعوهم ؟

الرئيس : نيكولا ، ايفان ، اليزابت ، ماريا ، بربتو .

خليستاكوف : حسن جداً .

الرئيس : لا اجرؤ على ان اتجاوز اكثر مما فعلت على هـذه الفترات المخصصة لواجبات مقدسة ... (يحيي ويتجه الى الباب .)

خليستاكوف (مشيعاً اياه) : لا البتة . فكل ما ذكرت لي عجيب غريب . فاذا وددت ، ففي برهة اخرى ... هاه! يعجبني منك ما فعلت . (يعود ، فيفتح الباب ويستدعيه ثانية) ايه ! قل لي اذن ... كيف ... لعمري قد نسيته ... قل لي اسمك واسم ابيك .

الرئيس : آرتيمي فيليبوفيتش

خليستاكوف : اعمل معي معروفاً ، يا آرتيمي فيليبوفيتش . انها لحادثة طريفة هذه التي حدثت لي ، اذ توقفت عـلى الطريق طويلا ... اليس معك اربعمائة روبل تقرضني اياها ؟

الرئيس : اجل .

خليستاكوف : هاه ! يا للسعادة . اشكرك خاضعاً .

المشهد السابع

خليستاكوف ، بوبتشنسكي ، دوبتشنسكي

بوبتشنسكي : ائذن لي بان اتشرف بتقديم واجب احترامي . انا احد قاطني هذه المدينة ، بيتر بن ايفان ، بوبتشنسكي .

دوبتشنسكي : ملاك من هذه البلاد ، بيتر بن ايفان ، دوبتشنسكي .

خليستاكوف : ها ! اظن انني رأيتكما . انت الذي وقعت ، كيف حال أنفك ؟

دوبتشنسكي : اشكر لك هذه المنة ، وارجو الا تنزعج . فقد يبس الجرح ، يبس وانتهى .

خليستاكوف : يبس ؟ ها ! عال عال . يسرني ذلك ... (بلهجة مفاجئة) امعكما بعض النقود ؟

دوبتشنسكي : نقود ؟ و كيف ، نقود ؟

خليستاكوف : اقرضاني الف روبل .

بوبتشنسكي : هيهات ! فوربي اني لا احمل مثل هـــذا المبلغ ! وأنت ، يا بيتر ايفانوفيتش ، الا تحمل الف روبل ؟

دوبتشنسكي : لا وربي ، فنقودي ، اذا رغبت في معرفة ذلك ، موضوعة في مكتب الاحسان العام .

خليستاكوف : اذا لم يكن معكما الف روبل ، فمعكما مائة على الاقل .

بوبتشنسكي (منقبا في جيبه) الا تحمل معك مائة روبل ، يا بيتر ايفانوفيتش ؟ انا ، ليس معي سوى اربعين ورقاً .

دوبتشنسكي (منقباً في جيبه) : انا ليس معـــي سوى خمسة وعشرين ، جملة .

بوبتشنسكي : ابحث اذن ، يا بيتر ايفانوفيتش . ههنا ، في جيبك اليمنى ، يلوح لي انك وضعت فيها شيئاً ، الجيب اليمنى .

دوبتشنسكي : لا ، صدقاً . ليس من شيء في جيبي تلك .

خليستاكوف (وهو يأخذ النقود) : هيا لا بأس . لا اهمية لذلك . خمسة وستون روبلا .. الامر على حد سواء .

دوبتشنسكي : أأتجرأ على ان استأذن بمباحثتك في امر يسير .

خليستاكوف : وما هو ؟

دوبتشنسكي : أوه ! هو أمر ذو قيمة يسيرة جداً . هذا هو : ابني البكر ، اذا تجرأت على ان اذكر ذلك ، ولد قبل الزواج بعهد قريب .

خليستاكوف : نعم ، نعم .

دوبتشنسكي : تلك كلمة تقال ، إذ ولد في الواقع خلال الزواج ، واستقامت الامور من ثم بزواج مشروع . وعلى ذلك فقد رغبت ، اذا سمحت بان اكلمك في الامر ، ان يصير لي ابناً شرعياً ، ولهذا فقد سميته باسمي ، دوبتشنسكي .

خليستاكوف : حسناً . وقد كان الامر ممكن الحدوث .

دوبتشنسكي : لا اريد ازعاجك ، الا انه فقط فـــيما يتعلق بامكانياته . فهذا الصبي يبشر باسمى الآمال . اذ يلقي

اجمل الامثولات عن ظاهر القلب، واذا وقع على سكين، جعل يفصّل لك عربات صغيرة، بحنكة ودراية بالغتين، حتى ليقال انه مشعوذ. وهذا بيتر ايفانوفيتش يشهد على ذلك.

بوبتشنسكي : لاخفاء في ان له، من هـذه الناحية، مواهب عجيبـة.

خليستاكوف : حسناً، حسناً! انا اتعهد الامر. سأكلم فيه... وآمـل ان... ان الامر سيتم. نعم، نعم. (الى بوبتشنسكي) وانت، الديك ما تطلبه مني؟

بوبتشنسكي : يا سيدي، عندي مطلب جد بسيط اعرضه عليك.

خليستاكوف : وبم يتعلق؟

بوبتشنسكي : يتعلق بالضراعة اليك بخشوع تام لدن عودتك الى بطرسبورغ، ان تقول لجميع العظماء فيها... لاعضاء مجلس الشيوخ، وللاميراليات... ان تقول لهم سعادتك... او بالحري رفعتك... ان في هذه المدينة...، ان بيتر ايفانوفيتش بوبتشنسكي قد بقي في هذه المدينة. اجل، لا شيء غير ذلك، ان بيتر ايفانوفيتش بوبتشنسكي قد استقر هنا.

خليستاكوف : حسن جداً.

بوبتشنسكي : فاذا صدف وتذكر الامبراطور ذلك، حسناً، قل للامبراطور مايلي: يا صاحب الجلالة الامبراطورية،

في هذه المدينة قد استقر بيتر ايفانوفيتش بوبتشنسكي .

خليستاكوف : حسن جداً .

دوبتشنسكي : الف معذرة لتجاوزي على اوقاتك الثمينة .

بوبتشنسكي : الف معذرة لتجاوزي على اوقاتك الثمينة .

خليستاكوف : وكيف ذلك ! تشرّفت (يشيعهما)

المشهد الثامن

خليستاكوف (بمفرده)

في هذا البلد عدد كبير من الموظفين . ويلوح لي انهم يظنونني موظفاً لدى الحكومة . والواقع اني احسنت ذرّ الرماد امس في العيون . هاه ! يا لهم من حمقى ! لعلي اكتب كل هذا الى تريا بتشكين الذي يحرر المقالات في بطرسبورغ ، فسيضحك منه بعض الشيء . (ينادي) هيه! اوسيب ائتني بالورق والحبر . (يشق اوسيب الباب ويجيب : على الفور) على ان تريا بتشكين ، اذا ما استحوذ على الحكاية ... العياذ بالله ! فلن يراعي خاطر ابيه ليقول قولا حسناً ، وهو يحب المال فوق ذلك . وبعد ، فهؤلاء الموظفون ناس طيبون ، وجميل منهم اقراضهم اياي بعض المال . ها !وبهذه المناسبة ، كم احمل هنا ؟ فمن القاضي ، ثلاثمائة ، ومن مدير البريد ، ثلاثمائة ، ستمائة ، سبعمائة ، ثمانمائة ... بئست هذه الورقة كم هي دَبِقة !.. تسعمائة ... هوه! هوه،المبلغ يزيد عن الف... اين رئيسي الآن ؟ آه ! لو انه يقع تحت يدي ... بتنا نعرف الاعيبه ...

المشهد التاسع

خليستاكوف ،اوسيب (حاملا الورق والحبر)

خليستاكوف : والآن ، ايها الحيوان الكبير ، ما قولك في الطريقة التي يستقبلوننا ويعاملوننا بها هنـــا ؟ (يبدأ الكتابة .)

اوسيب : نعم ، نعم ، بفضل الله : ولكن اتعلم ، يا ايفان الكسندروفيتش ؟

خليستاكوف (وهو يكتب) : ماذا ؟

اوسيب : اهرب من هنا ، لقد آن الاوان ، صدقني .

خليستاكوف (متابعاً) : يا لها حماقة ! وما الخطب ؟

اوسيب : هـذا رأيي. ليبارکهم الله جل جلاله والناس اجمعين معهم. هذان يومان مرا عليك وانت في احتفال، حسناً ، ففي هذا الكفاية . علام تتشبث بذاك العالم كل هذه المدة. ابصق عليهم. فالساعة قلب، وستأتي اخرى غيرها... آه ! ايفان الكسندروفيتش ! يوجـــد هنا خيول مطهمة ، وسنسابق بها الريح !

خليستاكوف (متابعاً) لا . اريد البقاء هنا فترة اخرى . غـداً نفكر في الامر .

اوسيب : آه ! غداً لنرحل ... لنرحل ، يا ايفان الكسندروفيتش. فحفظاً لمصلحتك ، وصيانة لشرفك ، يحسن بنا ان نتوارى من فورنا ... انت ترى انهم يظنونك شخصاً آخر ... والى جانب ذلك ، سيحقق ابوك الصغير اذا تأخرت اكثر مما فعلت ... صدقني ، ستسابق الريح ... وسيعطونك اقوى الجياد .

خليستاكوف (متابعاً) : طيب حسناً . احمل فقط هذه الرسالة قبلا الى البريد ، وعد بعربة وخيل . وتنبه لان تكون خيلي مطهمة . قل لرجال القافلة اني ساعطيهم روبلا على صورة منحة ، غير اني اريد سرعة جهنمية ، وليغن الجميع طوال الوقت ... (يواصل الكتابة) اتصور ان تربا بتشكين سيموت حسداً ...

اوسيب : اسمع ، يا سيدي ، سأبعث برجل البيت ، وسأهيء انا الحقيبة ، كي لا اضيّع وقتاً .

خليستاكوف : حسناً ، حسناً . ايتني فقط بشمعة .

اوسيب (الى خارج المسرح) : هيه ! يا رفيق ! تعال احمل هذه الرسالة الى البريد ، وقل للمدير ان يلصق عليها الطوابع اللازمة . قل له ايضاً ان يرسل من الفور احسن عربة بريد عنده من ثلاثة خيول ، ولن يدفع السيد اجرة البريد . قل له ايضاً : لمصلحة حكومية . لا تنس ذلك . وليسيروا بتهلل وبشر ، فلا نسمع من السيد توبيخاً . تمهل ، فالرسالة ليست بعد جاهزة .

خليستاكوف : يشوقني ان اعلم المكان الذي يسكنه الآن : شارع البريد ام شارع البردي ؟ هو يهوى التنقل دون دفع الاجرة . وذمتي ، سأكتب له الى مسكنه القديم ، في شارع البريد . (يطوي الرسالة ويكتب العنوان . يحمل اليه اوسيب شمعة ، فيختم الرسالة)

صوت درجيموردا (خلف المسرح) : هوه ! غلاظه ! الى اين تسير ؟ قلنا لك الدخول ممنوع .

خليستاكوف (يناول الرسالة الى اوسيب) : امسك ، خذها .

اصوات تجار (خلف المسرح) : دعنا ندخل ، ايها الاب الصغير ! لا يمكنك طردنا ، فقد اتينا لحاجة .

صوت درجيموردا : خروجاً من هنا ! هو لا يستقبل. هو نائم.

خليستاكوف : ما هناك، يا اوسيب؟ انظر مصدر هذا الصخب.

اوسيب (مطلاً من النافذة) : هم تجار يبغون الدخول ،وشرطي البلدية يردهم عنه . وهم يبسطون ايديهم باوراق يحملونها ، ويبدو أنهم يودون مقابلتك .

خليستاكوف (من النافذة) : ما هناك ، يا اصدقائي ؟

اصوات تجار : نتوسل اليك بالعفو ! مرهم ، يا مولانا ، بقبول شكوانا .

خليستاكوف : دعهم يدخلون . ليدخلوا . اوسيب، قل له يدعهم يدخلون . (يخرج اوسيب .خليستاكوف يتناول عرائض تعطى له من النافذة) « ترفع الى مقام سعادة مولانا سيد دوائر المال . . . التاجر ، عبدولين ، يعرض ... » اي شيطان هذا ويا للقب الذي يسمني به !

المشهد العاشر

خليستاكوف ، تجار (حاملين سلالاً ملئت
بزجاجات الشمبانيا ، وانواع الحلويات)

خليستاكوف : ما مطلبكم عندي ، يا شجعان ؟

التجار : جئنا نحني جباهنا امام رحمتك .

خليستاكوف : أمن حاجة اقوم بها لخدمتكم ؟

التجار : لا تسلمنا الى الخراب ، يا مولانا . جئناك نطلب ان تنصفنا .

خليستاكوف : ممن ؟

تاجر : من حاكم هذا البلد . ان هذا الحاكم ، يا مولاي ، لم ير له الناس قط نظيراً. فهو يحملنا من الارزاء ما لا يحصره تدوين . ويقحّمنا العديد من بطاقات السكن ، حتى لنستسيغ احاطة عنقنا بحبل لعلنا ننتهي الى خلاص . وهو لا يداور ولا يداري فيأخذ بلحيتك ويقول لك : يا تتري يا كلب . فوالله لو اننا فعلنا معه امراً لقلنا صاحب حق ، الا اننا نؤدي واجباتنا ضمن حدود الاصول . وخذ مثلاً ملابس السيدة زوجته وكريمتها ، فلا نقول ههنا بحقها شيئاً . وهذا كله لا قيمة له عنده ! هيهات ! هيهات ! انه يدخل الدكان ، وما يلقاه يحمله معه . تقع

عينه على قطعة قماش فيقول : « هذا قماش متين قليل . ابعث به الى بيتي يا عزيزي . » وهكذا يمضي بقطع لا يقل طولها عن خمسة وعشرين ذراعاً .

خليستاكوف : امكن هذا ؟ هو اذن ماكر سافل !

التاجر : هيهات ! فما منا رجل يذكر انه شاهد في حياته نظيراً له حاكماً . فكل ما يراه في الدكان ،يغتصبه . ولا اقول بعد شيئاً في الحوائج اللطيفة ، اذ انه يأخذ حتى القذارات. فاذا رأى خوخاً ميبساً — كبرتم عن ذكره — ملقى في قعر البرميل منذ عشر سنوات ، ولا يقبل صبي الدكان اكله ، فانه يحشو منه جيوبه . ويوم عيد اسمه ، هو يوم القديس انطوان ، وفيه يجب ان نقدم له جميع انواع الهدايا ، وحتى ما لا يفيده منها في كثير او قليل . كلا، لا أهمية لذلك ، ويجب ان نزيد عطاء . ويدعي ايضاً ان يوم القديس اونوفر ، يوم عيد له . وعلى ذلك يجب ان نعيّد معه ايضاً في يوم القديس اونوفر .

خليستاكوف : هو على ذلك لص سارق .

التاجر : هيهات ! هيهات ! فلو جربت المقاومة ، لارسل اليك فصيلة باكملها تسكنها عندك . واذا ارتفع صوت بشكوى، اغلق الباب وقال : « لن آمر بتعذيبك ،ولا بايقاع عقوبة جسمانية ، بك ، فالقانون لا يسمح بها،ولكنني ،يا عزيزي —كما يقول — ساعرف جيداً كيف القمك الحبّات ...»

خليستاكوف:ويحه! يا له من خبيث! في هذه التصرفات ما يبرر

نفيه الى سيبيريا .

التاجر : لو رغبت رحمتك في ارساله فقط الى مكان من الامكنة ، بعيداً من هنا فحسب ، لسارت الامور على احسن وجه . فلا ترفض خبزنا وملحنا ، يا ابانا ، اذ جئناك نقدم الطاعة والاحترام مع هذه الحلويات وسلال الشمبانيا .

خليستاكوف : الا تفكرون فيما تفعلون ؟ لا اقبل انا الهدايا قطعاً . اما اذا اقرضتموني مثلا ثلاثمائة روبل ، فتلك تكون قضية اخرى : اعتقد انه يحق لي الاستعارة .

التجار (وهم يسحبون النقود) : خذ ، يا أبانا . ما قيمة الثلاثمائة روبل ؟ خذ من فورك خمسمائة وهلمّ ساعدنا .

خليستاكوف : اخيراً وصلنا . انه قرض ... لا تأخذوا في الامر وتعطوا . انا اوافق .

التجار (يقدمون له الروبلات على طبق فضي) : خذ الطبق ايضاً .

خليستاكوف : لنأخذ الطبق .

التجار : خذ السكر ، لمرة واحدة .

خليستاكوف : اوه ! ابداً ! عن الهدايا لا اريد ان اسمع ...

اوسيب : هيه ، يا مولاي ! خذها على كل حال . فعلى الطريق ، كل حاجة تفيد . هيا ، ناولوني هذه الحلويات والقناني . إيه ! فكل شيء له لزومه . ما يكون ذاك ؟ أخيطان للصر ، ناولني هذه الخيطان : الخيطان تنفع دوماً على الطريق . فقد تقع بالعربة واقعة ، وبالخيطان يرتق المرء

كل شيء .

التجار : فلتتفضل سعادتك علينا بهذه المنة . فيا مولانا ، اذا لم تقبل استرحامنا ، لم نعد نعلم ما المصير ، ويستوي عندها لدينا ان نشنق انفسنا من الفور .

خليستاكوف : اعتمدوا علي ، سأبذل كل جهدي ... (التجار يخرجون . — تسمع اصوات نساء)

امرأتان (خلف المسرح) : كلا ، لن يسعك ان تطردني . سأشكوك اليه بالذات . ارجوك ، لا تدفعني !

خليستاكوف (من النافذة) : ما هناك ؟ ما الامر ، ايتها الام؟

صوتا امرأتين : رحمتك ، يا ابانا ! انصفنا ، يا مولانا ! اصدر امرك بان نكلمك .

خليستاكوف : دعوهما تدخلان .

المشهد الحادي عشر

خليستاكوف ، زوجة صانع الاقفال ، زوجة وكيل الضابط

المرأة الاولى (وهي تنحني) : اطلب مرحمة !

المرأة الثانية : اطلب مرحمة !

خليستاكوف : من تكونان ؟

المرأة الثانية : المرأة ايفانوفا ، زوجة ضابط وكيل .

المرأة الاولى : انا زوجة صانع اقفال من هذا البلد ، فيفرونيا بتروفا بوشلبين ، في خدمتك ، يا ابتاه .

خليستاكوف : انهضا ، ولتتكلم كل منكما على حدة . ما تطلبين ، انت ؟

المرأة الاولى : اطلب مرحمة . لقد جئت اقدم شكاية ضد الحاكم ، الذي ارجو الله تعالى ان يلحق به كل اذى ممكن ، وباولاده ، وباعمامه وعماته واخواله وخالته ، وكل بني عرقه ، اذا كان لهذا السافل من اقرباء .

خليستاكوف : وما فعل ؟

المرأة الاولى : إنه امر بحلق شعر زوجي ليجعل منه جنديا ، ولما يكن دورنا قد اتى بعد ؛ يا له من سافل ! وذلك رغم ان القانون يحميه لانه متزوج .

خليستاكوف : كيف امكن حدوث هذا الامر ؟

المرأة الاولى : لقد فعل السافل ذلك ! لقد فعله . ليضربه الله في هـذا العالم وفي العالم الآخر ! فأذا كانت له عمة ، فلتقع عليها كل ارزاء الخليقة ! واذا كان ابوه الدفيء حياً ، فليفطس ، او فليقض هذا بداء الربو ! كان الدور لابن الخياط ، وهو الى ذلك سكير عربيـــد ؛ غير ان اهله الاغنياء قدموا له هدية جعلت القرعة تقع على ابن بانتلييف ، التاجرة ، وعندها حملت بانتلييف ثلاث قطع من القماش الى زوجه ؛ وعلى الاثر هبط الحكم علي وقال : « مـــا يصيبك اذا اخذنا زوجك ؟ فهو لا يؤدي لك اية خدمة . — قلت : حسناً ! أعلم انا ذلك ، ولكن اذا خدمني او لم يخدمني ، فذاك يخصني انا . يا له من سافل ! — قال : هو لص ، واذا لم يسرق بعـــد ، فسيسرق في يوم ما الايام ، وهذا على حد سواء . » — وعلى ذلك استاقوه في السنة التالية كمجند ، وانا ، أأبقى إذن بلا زوج ؟ يا له من سافل ! آه ! اتمنى لو ان سلالتك حرمت من رؤية نور الله تعالى ، واذا كانت لك جدة ، فلـ...

خليستاكوف : كفى ، كفى . — (الى المرأة الثانية) وانت ؟

المرأة الاولى : لا تنسني ، يا ابتي ! كن رحيما . (تخرج)

المرأة الثانية : جئت يا ابتي ارفع ضد الحاكم ...

خليستاكوف : وما فعل ، تكلمي باختصار .

المرأة الثانية : انه السوط ، يا ابتي الصغير .

خليستاكوف : وكيف ذلك ؟

المرأة الثانية : حدثت القضية عن خطأ ، يا ابتي . فقد تشاجرت نساؤنا في السوق ، وجاءت الشرطة متأخرة بعض التأخير ، فالقي القبض علي ، وكتب بحقي تقرير بصورة بقيت معها يومين لا اتمكن من القعود .

خليستاكوف : وما يسعنا ان نفعل بهذا الامر ؟

المرأة الثانية : لا يسعنا فعل شيء . امـــا فيما يخص الخطيئة ، فيمكن تلزمه دفع غرامة مـــا عنها . فاذا جاءت فلن ارفضها ، بالاضافة الى ان بعض النقود يمكن ان تفيدني اكبر فائدة في الوقت الحاضر .

خليستاكوف : حسناً ، حسناً سأتدبر الامر . (تظهر اياد في النافذة حاملة عرائض) أشكاوى اخرى !(من النافذة) لا استطيع ! لا أستطيع ! مستحيل ! انهم يضجرونني آخر الامر فليمحقهم الشيطان ! لا تدع احداً يدخل ، يا اوسيب .

اوسيب (من النافذة صائحاً) : امضوا من هنا ، امضوا من هنا . لا وقت لدينا الان . عودوا غداً . (ينفتح الباب ، ويرى وجه رجل بثوب المستشفى ، ذو لحية طويلة ، شفاهه متورمة وخدوده مغطاة . ويظهر خلفه بضعة آخر في الصف الثـــاني)

اوسيب : خارجاً ! خارجاً ! الدخول ممنوع . (يضغط بيديه على بطن الاول ويدفعه الى الغرفة النصفية . ينغلق الباب عليهم)

المشهد الثاني عشر

خليستاكوف ، ماريا انطونوفنا

ماريا : آه

خليستاكوف : ما الذي اخافك ، يا آنستي ؟

ماريا : لم اصب بخوف .

خليستاكوف (بلهجة اغراء) : اعذريني ، يا آنستي ، غير اني في منتهى السعادة اذ اعتبرتيني رجلا يستطيع ... أأجرؤ على سؤالك عن المكان الذي كنت تبغين الذهاب اليه ...

ماريا : الحق اني لم اكن افكر بالذهاب الى اي مكان .

خليستاكوف : وكيف امكن انك كنت غير ذاهبة الى اي مكان .

ماريا : ظننت ان امي قد تكون موجودة هنا ...

خليستاكوف : كلا . وارجو معرفة كيف امكن انك كنت غير ذاهبة الى اي مكان ؟

ماريا : لقد ازعجتك . انت منشغل بقضايا جدية للغاية .

خليستاكوف : ليس ثمة قضايا جدية تساوي عينيك . وابداً لا يمكن ان تزعجيني بأي شكل من الاشكال . بل على العكس ، قد يكون في وسعك اسعادي .

ماريا : حقاً ان اسلوبك اسلوب اهل العاصمة .

خليستاكوف : اجل ، مع اشخاص وهبوا مثل ما وهبت من جاذبية . أأجرؤ على ان اسعد بتقديم مقعد اليك ؟ ولكن، ماذا اقول ؟ ان ما يليق بك هو عرش ، لا مقعد .

ماريا : حقاً لا أعلم ... اعتقد اني يجب ان انصرف . (تجلس)

خليستاكوف : ما هذا الوشاح الجميل الذي تتزينين به ؟

ماريا : حرام عليك الهزء بالريفيات المسكينات .

خليستاكوف : أواه ! اتمنى لو كنت هذا الوشاح لأحيط بهذا العنق الزنبقي .

ماريا : رباه ! لا افهم مما تقول شيئاً على الاطلاق ... وهذا الوشاح ... يا لطقس هذا اليوم من طقس ربيعي جميل !

خليستاكوف : ليس من ربيع يشبه هذه الشفاه الوردية ، يا آنستي .

ماريا : رباه ! ما اجمل حديثك لي ... انا التي كنت أتشوق لسؤالك عما اذا كنت ترغب في كتابة شيء ما في مجموعتي، كبعض ابيات من الشعر . انا واثقة انك تحفظ منها الشيء الكثير .

خليستاكوف : لاجلك يا آنستي افعل كل شيء . انا في خدمتك، فأي اشعار تطلبين ؟

ماريا : اية اشعار كانت ... اشعار قوية وجديدة .

خليستاكوف : هاه ! انني اعرف من الاشعار الشي الكثير .

ماريا : حسناً ! انشدني تلك التي ستكتبها لي .

خليستاكوف : ولم انشدها ، ما دمت اعرفها احسن معرفة دون ما انشاد ؟

ماريا : احب الاشعار حباً جماً ...

خليستاكوف : ذاك اني اعرف منها الكثير ومن كل الضروب.. اسمعي ، اترغبين في ان اكتب لك مثلاً :

انت الذي قطع الرجاء فأنّب الرب العظيم

يا من ...

او هذه مثلا ... عجباً فما عدت اذكر شيئاً ... وبعد ، فما اهمية ذلك . ماذا تقولين فيما لو قدمت لك قلبي الذي بدأ منذ شاهدتك ... (يقرب كرسيه منها) الحب...

ماريا : الحب !... لا اعرف ما الحب ... لا اعرف ما كنهه . (تبعد كرسيها)

خليستاكوف : لم تبعدين كرسيك ؟ ما اجمل ان يجلس احدنا الى قرب الآخر .

ماريا : (مبعدة كرسيها) : لمَ قريباً ؟ ان الجلوس بعيداً ليعدل القرب .

خليستاكوف (مقترباً منها) لمَ بعيداً ؟ ان الجلوس قريباً ليعدل البعد .

ماريا (مبتعدة) : ولم ذلك ؟

خليستاكوف (مقترباً) : اتظنينا متقاربين ! تخيلي اننا متباعدين... اواه يا آنسة ، كم اكون سعيداً لو استطعت الاقتراب ، الاقتراب ... الى ان اضمك بين ذراعي .

ماريا (ناظرة من النافذة) : عجباً ! ما الذي طار للحظته هناك؟ أغراب هو ام طائر آخر ؟

خليستاكوف (وهو يقبلها على كتفها) : انه غراب .

ماريا (تنهض واقفة) : هاه ! هذا كثير ... يا لها من جرأة !

خليستاكوف (ممسكا بها) : عفوك يا آنسة . فهو الحب الذي ساقني الى ما فعلت . ان الحب ...

ماريا (محاولة التخلص) : انك تظنني فتاة ريفية ...

خليستاكوف (ممسكا بها) : انه الحب ، الحب الطاهر النقي . كنت امازحك يا ماريا انطونوفنا ، فلا تغضبي . واني لأسألك العفو راكعاً . إعف عني ، إعف عني . اترين ، ها انا راكع على ركبتي ...

المشهد الثالث عشر

نفس الشخصين ، أنا اندرييفنا

انـّا : هيه ! ما هذا الموقف الذي ارى ؟

خليستاكوف (ناهضاً ، على حدة) : العياذ بالله !

انـّا (الى ابنتها) : ما معنى هذا يا آنسة ؟ ما هذه التصرفات ؟

ماريا : ولكن ، يا امي الصغيرة ...

انـّا : اخرجي في الحال ! انسمعينني ؟ ولا تحاولي الظهور امام ناظري قط . (ماريا تخرج دامعة العينين) اعذرني يا سيدي ، فدهشتي قد ...

خليستاكوف (على حدة) : انها لعمري كالفاكهة الشهية ايضاً ، وليست سيئة الطعم . (يلقي بنفسه على ركبتيها) انا يا سيدتي ، كاترين ، اذوب جوىً وغراماً ...

انـّا : اتركـــع ! انت ! إنهض ، انهض يا سيدي ، فالارض غير نظيفة .

خليستاكوف : كلا ، سأركع ، وسأبقى راكعاً ، اريدانتظار المصير الذي خبأته لي الاقدار . اهي الحياة ام الموت ؟

انـّا : عفوك يا سيدي ، فلست افهم تمام الفهم معنى كلامك . واذا لم اكن على خطأ ، فاظنك كنت تبوح بغرامك لابنتي .

خليستاكوف : كلا فأنا مغرم بك ، وحياتي معلقة بشعرة . فاذا لم تتوجي هذا الحب المقيم ، فلن اكون جديراً بالابقاء على حياتي . انه لفؤاد مضطرم هذا الذي يطلب يدك .

اندّا : ولكن ، اسمح لي بأن الفت نظـرك ... ان مطلبك مستحيل ، فأنا متزوجة .

خليستاكوف : وما اهمية ذلك ، ان الحب لا يعرف الفروق ، ولقد قال كارامازين في هذا المعنى : « ان القوانين تدين من يجب ان يدان » فلنلتأ بنفسينا الى ظل ساقية . يدك . انني اطلب يدك .

المشهد الرابع عشر

نفس الشخصين ، ماريا انطونوفنا (تدخل جرياً)

ماريا : امي ، لقـد طلب الي ابي ان اقول لك ... (تلحظ خليستاكوف راكعاً) هيه ! ما هذا الموقف الذي ارى ؟

انّا : حسنا ! ماذا ؟ ما بك ؟ ماذا جرى؟ ما هذا الطيش ؟ ما الذي حداك على اقتحام الغرفة كانك القط المسلوق ؟وما في الامر من عجيب مستغرب ؟ ولم هـذه الدهشة ؟ لكأنك في الحق طفلة في الثالثة من العمر . وانه لمن المؤكد ان المرء لا يظن ، كلا انه لا يظن ابداً ... ان المرء لا يظن انها تبلغ الثامنة عشرة . ولااعلم متى تعقلين فتبلغين في رصانتك مبلغ الشابة المهذبة : متى تتعلمين حسنات المبادىء الرفيعة والتصرفات الصارمة :

ماريا (باكية) : ولكنني لم اكن اعلم يا أمي ان ...

انّا : ان في رأسك ابداً ما لا اعلم كنهه من الدخان والابخرة العجيبة ! وها انت تتلمذين على بنات ليابكين - تيابكين. لم تنظرين اليهن يا آنسة؟ عليك الا تنظري اليهن ، امامك امثلة اخرى يمكنك الاقتداء بها. فهذه امك تحت ناظريك. اجل ذاك هو نمط النماذج التي يحسن بك انتهاج منهجها ..

خليستاكوف (آخذاً بيد ماريا) :لا تعترضي يا أنّا اندرييفنا طريق سعادتنا . باركي حبنا المقيم !

انّا : ماذا تقول ، اعنها كنت ...

خليستاكوف : قولي كلمتك ! أبحياتي تقضين ام بموتي !

انّا : حسناً ايتها الحمقاء الصغيرة ، ها انت ترين الى اين تؤدي بنا تصرفاتك المضحكة . فالسيد يتلطف فيركع على ركبتيه ، فتجرين انت هاربة كمن به جِنة . هيا فلعمري انك تستحقين ان ارفض : اذ لستِ اهلا لكل هذا الشرف .

ماريا : لن اعود الى ما فعلت ، يا امي الصغيرة ، لن اعود .

المشهد الخامس عشر

نفس الاشخاص ، الحاكم (مبهور النفس)

الحاكم : لن اعود الى ما فعلت ، يا صاحب السعادة ! لا توردني مورد التهلكة ! لا تضيّعني !

خليستاكوف : ما بك ؟

الحاكم : لقد جاء التجار يشكونني الى سعادتك . الا انني اقسم بشرفي ان نصف ما يدعون غير صحيح ، وهم انفسهم يخدعون الجمهور ويبيعون بضاعتهم باسعار ملفقة . وزوجة الوكيل كاذبة ، فهي تدعي اننا جلدناها ، ولكنها كاذبة ، وكذبها صريح كقولة ان لا إله الا الله ، انها كاذبة لانها هي التي جلدت نفسها بنفسها .

خليستاكوف : فليأخذ الشيطان زوجة الوكيل ، فأنا لا اهتم لها بحال !

الحاكم : لا تصدقهم ، لا تصدقهم ! فهم كذبة مارقون !.. وحتى الاطفال لا يصدقون ما يدعون ، لان المدينة كلها تعرفهم كاذبين . اما عن تلك السافلة ، فبوسعي السماح لنفسي بان اؤكد لك انها سافلة بشكل لم يعرف له العالم مثيلًا من قبل .

انّا : اتعرف الشرف الذي يولينا اياه ايفان الكسندروفيتش ؟

انه يطلب يد ابنتنا .

الحاكم : ماذا ! ماذا !.. او فقدت الوعي ، ايتها الام الصغيرة ؟ يا صاحب السعادة ، تفضل فاعف عن زلتها ، ففي ذهنها بعض الخلل ورثته عن امها .

خليستاكوف : اجل ، اجل . انني اطلب يدها ، لاني محب مغرم .

الحاكم : لا املك تصديقك ، يا صاحب السعادة .

انا : ولكن عندما نقول لك ..

خليستاكوف : اكلمك بكل جد ... انا رجل أكاد افقد رشدي ... بسبب فرط محبتي .

الحاكم : لا اجرؤ على تصديق ما اسمع ... فأنا لا استحق مطلقاً هذا الشرف كله .

خليستاكوف : اجل ، فاذا لم تقبل بمنحي يد ماريا انطونوفنا ، عرف الشيطان وحده ما سوف افعل .

الحاكم : لا يمكنني ان اصدق .. ان سعادتك راغب في المداعبة .

انا : آه ! يا لك من احمق عنيد ! كم مرة يجب ان اكرّر عليك ..

الحاكم : لا يمكن ان اصدق ...

خليستاكوف : اعطنيها ، اعطنيها !.. انا انسان يائس ، عازم على فعل اي شيء .. وعندما احرق مخي ، فستقع عليك تبعة عملي امام القضاء .

الحاكم : هيهات ! ايها الرب العلي العظيم ، لست مذنباً لا بالفعل ولا بالنية . لا تغضب يا صاحب السعادة ! تفضل فافعل كل ما يرضي سعادتك .. انني لا املك رشدي في هذه

الآونة ... ولا اعرف ما الذي يجري . اصبحت غبيا الى درجة لم اعهدها في نفسي .

انا : هلم ، فاعطهما بركتك . (يأخذ خليستاكوف بيد ماريا انطونوفنا وينحني)

الحاكم : ليبارككما الله ، غير اني لا احمل وزر ما تقدمان عليه. (خليستاكوف يقبل ماريا انطونوفنا) يا للشيطان ! حقاً ! (يفرك يديه) انهما يقبلان بعضهما ! وذمتي انهما يقبلان بعضهما ! إنه خطيب حقاً ! آه ، يا لحظنا ! هذه نكتة غريبة !

المشهد السادس عشر

نفس الاشخاص السابقين ، اوسيب

اوسيب : وصلت الخيول .

خليستاكوف : حسناً . انا آت .

الحاكم : هل انت مسافر ؟

خليستاكوف : نعم .

الحاكم : وعلى ذلك ، متى ؟.. اظنك قد تفضلت فألمحت الى ... مسألة زواج .

خليستاكوف : سأعود في الحال . انا ذاهب الى عمي لمدة يوم واحد . هو عجوز غني جداً ... وغداً اكون هنا .

الحاكم : لا نجرؤ على اعاقتك عن السفر ، آملين ان تكون عودتك سريعة .

خليستاكوف : انها مجرد ذهاب وعودة . وداعاً يا غرامي !... كلا ، لا يمكنني التعبير عن ... وداعاً يا روحي . (يقبل يدها)

الحاكم : الست بحاجة الى شيء للطريق ؟ اذا كانت بك حاجة الى بعض المال ...

خليستاكوف : اوه ! كلا . ولمَ المال ؟ (راجعاً عن رأيه) في

الواقع ... نعم بكل سرور .

الحاكم : كم تحتاج ؟

خليستاكوف : اعطيتني قبلا مائتي روبل ، اعني اربعمائة – لا ابغي الافادة من سهوك – حسناً ! اعطني ايضاً مثلها ، ويكون المجموع ثمانمائة روبل على الضبط .

الحاكم (ساحباً المال من محفظته) : ستأخذها . خذ ، هـــذه اوراق جديدة .

خليستاكوف : حق ما تقول . هذا افضل . يقولون ان الاوراق المالية الجديدة تنبىء عن سعادة جديدة .

الحاكم : في هذا الموقف تحسن هذه الكلمة .

خليستاكوف : وداعاً يا انطون انطونوفيتش . انني اعترف لكم بالمنة لهذا الكرم . فانا لم اعرف ابداً مضيفين بمثل ودكم ولطفكم . وداعاً يا انا اندرييفنـا . وداعـــاً يا روحي العزيزة ماريا انطونوفنا . (الجميع يخرجون ، وتسمع اصواتهم خلف المسرح)

صوت خليستاكوف : الوداع يا ملاك روحي ماريا انطونوفنا!

صوت الحاكم : وكيف ذلك ! أتسافر بعربة بريد ؟

صوت خليستاكوف : نعم فتلك هي عادتي ، اذ ان اللوالب تسبب لي وجع الرأس .

صوت السائق : هوه !

صوت الحاكم : ضع على اقل تقدير شيئاً ما تحتك ... سجادة ... دعني آمر لك بسجادة .

صوت خليستاكوف : لا ، لا ! فالرحلة قريبة ... ولكن اذا كنت تلح علي في ذلك ، فسآخذ منكم سجادة .

صوت الحاكم : هيه ! آفدوتيا ! اسرع الى خزانة حفظ الاثاث ، فأت بافضل سجادة ... السجادة العجمية الزرقاء ... هيا ، اسرع !

صوت السائق : هوه !

صوت الحاكم : متى ترغب الينا انتظارك .

صوت خليستاكوف : غداً ، او بعد غد على أبعد حد .

صوت اوسيب : أهذه هي السجادة ؟ ناولني اياها ... إلفت من هنا . — حسناً ، هات قبضة من القش .

صوت السائق : هوه !

صوت اوسيب : طيب . من هنا . تماماً . عال . برافو ! (ضارباً على السجادة) هيا اجلس هنا يا سيدي .

صوت خليستاكوف : الوداع يا انطون انطونوفيتش !

صوت الحاكم : الوداع يا صاحب السعادة !

صوت المرأتين : الوداع يا ايفان الكسندروفيتش

صوت خيلستاكوف : الوداع ايتها الام الصغيرة !

صوت السائق : هيا ايتها الخيول المجنحة !

(تسمع ضجة اجراس صغيرة ؛ الستارة تهبط)

— نهاية الفصل الرابع —

الفصل الخامس

نفس المنظر

المشهد الاول

الحاكم ، أنا اندرييفنا ، ماريا انطوتوفنا

الحاكم : حسناً يا انا اندرييفنا ؟ ها ؟ أكان يخطر ببالك ان تشكي في الامر ؟ هوذا رجل محظوظ اعظم الحظ . حسناً ، قولي لي بصراحة : أسبق لك التفكير ابداً في ذلك ، حتى في الحلم ؟ لقد كنت السيدة الحاكمة ... وفجأة ... يا له من تغيير . لا شك انك ابنة شيطان من الشياطين .

انّا : وربي ! لا شيء يفجأني من هذا كله ، فقد تنبأت به منذ امد بعيد . ويدهشك انت لأنك مخلوق منكبين لم يقابل في حياته اناساً محترمين .

الحاكم : ألست رجلا محترماً انا ايتها الام الصغيرة ؟ لا ، حقاً يا انا اندرييفنا ، غريب علينا التفكير باننا امسينا طيرين من هذا النوع . أليس كذلك يا أنا اندرييفنا ، اضحيناطيرين قويين من طيور الاجواء العالية ، ليذهب بي الشيطان . آه ! الآن احطم رؤوس جميع اولئك الماكرين المخاتلين

الذين رفعوا العرائض والشكاوى . يا هو ! أمن احـــد هنا ؟ (يدخل احد الجلاوزة) آه ! هذا أنت يا ايفان كاربوفيتش . اذهب فأتني بالسادة التجار ، يا رفيقي . آه ! سأعلم تلك الطغمة القذرة كيف تكون الشكايات . هل رأى احد يوماً يهوداً رديئين كهؤلاء ! طيب ، طيب ايتها الحملان الضعيفة ، لقد جعلتكم تأكلون الضفادع حتى الآن ، امـــا اليوم فستبلعون الافاعي . آه ! اصبحت اعرف كل اولئك المتشكين وخصوصاً الكتاب ، الكتاب الذين يحررون العرائض ممن ذهبوا للاحاطة به . انبئهم جميعاً ، دون استثناء ، بالشرف الذي ارسله الله الى حاكمهم ، قل لهم انه سيعطي ابنته لا لأول قادم ، بل لرجل ليس له في العالم من مثيل وفي وسعه فعل كل شيء ، كل شيء ، كل شيء ، كل شيء ! قل لهم جميعاً ذلك ليعقلوه ويفهموه . ناد به على الشعب كله ، اقرع الناقوس : ليذهب بي الشيطان ، هذا يوم انتصاري ، وها انا انتصر . (يخرج الجلواز) حسناً ! حسناً ! كيف نحن الآن يا أنا اندريفنا ؟ اين نعيش بعـــد الآن ، هنا ام في بطرسبورغ ؟

انا : في بطرسبورغ ! بالطبع ! ما فائدة بقائنا هنا ؟

الحاكم : لنذهب الى بطرسبورغ ، ما دام هناك مدينة اسمهـــا بطرسبورغ . ولكن تذكرت ، هل القي بحكمي الى الشيطان ، ما ريك يا انا اندريفنا ؟

انا : هذا امر طبيعي . فما قيمة الحكم من فضلك ؟

الحاكم : اسمعي يا انا اندرييفنا ، اصبحت الان اهلا للوصول الى مرتبة ارفع . فهو زميل وصاحب لكل الوزراء ويذهب الى البلاط . وسيجعلني اتقدم ومع الزمن قد اعلق رتبة جنرال . ما رأيك يا انا اندرييفنا ، اليس في وسعي ان اصبح جنرالا ؟

انا : ولمَ لا ؟ بكل تأكيد .

الحاكم : هاه ! ليذهب بي الشيطان ! يا لروعة منظري عندما اعلق البند على كتفي . اي بند افضل يا انا اندرييفنا ، الاحمر ام الازرق ؟

انا : الازرق بالتأكيد .

الحاكم : يا للطاعون ! هي تحبها على هذا الشكل ! ان الاحمر جميل ايضاً . اتعرفين السبب في تحسنات بلوغ الانسان رتبة جنرال ؟ ذاك انه يرغب مثلا في الذهاب الى مكان من الامكنة . فتحشد الخيل ! وفي المحطات لا تعطى خيل لاحد ، ويجب على الجميع الانتظار : جميـــع الموظفين الصغار والرؤساء والحكام ... اما حضرة الجنرال فيولي كل شيء ظهره ولا يتنازل للتدخل باي امر . ويقدم العشاء في بيت المدير فيأتي الحاكم ويجعل يتزلف اليك . هاه ! هاه ! هاه ! (يبكي من فرط الضحك) تلك لعمري حياة رائعة !

انا : انت لا تحب سوى الامور الفظة . وسيلزمك ان تغير

طريقة حياتك تغييراً كلياً ، لأن علاقاتك لن تكون كما هي الآن مع من لا اعرف من القضاة ، هواة الكلاب ، تعدو مهعم خلف الغزلان ، او مع مثل زمليانيكا . بل ستكون اتصالاتك ، على العكس ، مع ارفـــع الناس شأنا ، مع الكونتات واهل المجتمع الراقي ... اقولك واعترف بانني مشفقة عليك ، لانك تتلفظ احياناً بكلمات لا تسمع قط بين الجماعات الطيبة .

الحاكم : هوه! ان كلمة واحدة لا تسيء الى انسان .

انا : لم يكن عليك من بأس عندما كنت حاكماً . اما الآن فحياتك اضحت تختلف عن السابقة كل الاختلاف .

الحاكم : نعم . ويقولون ان هنـــاك سمكتين صغيرتين هما : ريابوشكا و كوريوشكا طيبتين الى درجة يأتي معها الريق الى الفم عندما يبدأ الانسان الأكل .

انا : انه لا يفكر الا بالسمك ، وانا اود ان يكون بيتي افخر بيت في العاصمة ! اريد ان تكون غرفتي معطرة بالعنبر حتى ليغلق الانسان عينيه لدى دخولها و ... (تغلق عينيها وهي تستنشق الهواء بقوة) آه ! كم هذا لذيذ !

المشهد الثاني

الحاكم ، أنتا ، التجار

الحاكم : مرحباً بكم يا اصدقائي الصغار .

التجار (وهم يركعون احتراماً) : جئنا نقدم اليك احترامنا ، يا ابانا الصغير .

الحاكم : حسنا يا حملاني الصغار ، كيف حال الصحة ؟ وتجارتنا؟ كيف يخطر ببال مرقعي الطنـــاجر واقزام العناترة ان يقدموا شكاوى وعرائض؟ ايها اللصوص المخنكون، الدواب المثلثون ، العجول البحرية المسنة ، أتقدمون انتم عرائض وشكاوى؟ هل استلبت منكم مبالغ كبيرة؟ اتتوهمون انكم واضعي في السجن ؟.. اتعلمون ايهـــا السادة الذين ارجو ان يرسل الله اليكم ستة عفاريت وساحرة مشعوذة ، اتعلمون ان ...

انا : آه يا إلهي ! انتوشا ، ما هذه الكلمات التي تتلفظ بها ؟

الحاكم : لا اهمية للكلمات . ـ أتعلمون ان هذا الموظف الرفيع الشأن ، الذي تقدمتم اليه بشكاواكم ، سيتزوج من ابنتي؟ ها ؟ ما تقولون في هذا ؟.. الآن ، لو اني ... انكم تنهبون الدنيا . انت ، انك تقدم عرضاً معينا للحكومة، وتأتينا بحساب مزور يبلغ مائة الف روبـل ، ثم تسلمنا

قماشاً فاسداً .. او تظن بعد ذلك انه يجب علينا بسبب تضحيتك باثني عشر ذراعاً ان نرفع اليك واجبات الشكر ؟ وماذا يحدث لو ان الحكومة عرفت ان ... غير انه ذو موارد خاصة : فهو تاجر ، ولا يسعنا ان نلمسه بسوء . ونقول ان التاجر لا يقل شأنا عن ابن المجتمع الراقي .. ابن المجتمع الراقي !.. خسئت ايها القرد الخبيث ، اتعرف ما يكون ابن المجتمع الراقي ؟ ابن المجتمع الراقي مثقف . ومن الصحيح ان المربين يتلقفونه بالسوط في المدرسة ، وهذا خير ليتعلم ما يجب تعلمه ، اما انت .. فما يعلمونك اياه اول ما يعلمونك هو ان تنشل وتسرق . فمعلمك يضربك في سبيل تلقينك اصول سلب التجار . وعندما تكون متمرنا لم تعرف بعد صلاتك ، تكون قد تعلمت مع ذلك كيف تلمز طرف الميزان باصبعك . ومن ثم عندما اثريت ، وانتفخت جيوبك ، اضحيت تشمخ بانفك وتنفخ صدرك . هوذا رجل خطير ، تعالوا شاهدوه ! — وانت ، ألأنك تسد وتلحم ستة عشر ابريقاً في اليوم ، تشمخ بانفك وتلبس لبوس الاعظمين ؟ هاه ! سأبصق على وجهك وعلى عظمتك !

التجار (ركعاً) : عفوك يا انطون انطونوفيتش ! اننا مذنبون!

الحاكم : اوَ تحرر عرائض انت ؟ ومن الذي اعانك اذن على جمع الثروة عندما بنيت ذلك الجسر وتقدمت الينا بحساب يبلغ عشرين الف روبل من الاخشاب مع انه لم يكن

فيه اكثر من مائة روبل ؟ انا الذي مددت لك ا...ك
لحية التيس ! وقد نسيت ذلك . لو اني اذكر ما اعرف
من نقائصك ، لجعلتك تسافر بالمجان الى سيبيريا . ها ؟ ما
تقول في ذلك ؟

احد التجار : لقد اخطأنا يا انطون انطونوفيتش والشيطان هو
الذي دفعنا . غير اننا لن نكتب عرائض بعد اليوم .
قل لنا ما تود لاسترضائك وانس ما انت فيه من غضب
ونقمة .

الحاكم : انسى غضبك ونقمتك ! ها انت الآن تزحف امامي على
بطنك : لاني املك القوة والمنعة . ولو انني كنت في
موضعك وانت في موضعي ، ايها الوغد اللئيم ، لدفعت بي
الى النهر ان لم تزد فترجمني بالحجارة .

التجار (ينكبون على اقدامه) : عفوك ، عفوك ، يا انطون
انطونوفيتش .

الحاكم : عفوك ، عفوك ! هذا ما تقولونه الآن . وبعد قليل ،
انني ... هيا ! ان الله يأمر بالعفو ! كفى . لست حقوداً ،
ولكن احذروا : في المستقبل ، لاتحرجوني عن اطواري .
وارجوكم ان تتذكروا اني لا اهب ابنتي لشاب عادي
بسيط ... وعلى ذلك فلتكن تهانيكم على حسب المقام ،
اتسمعون ؟ لا تتوهموا انكم ستتخلصون ببعض السمك او
الفطائر ... كلا . اذهبوا وليهدكم الله الى سبل الخير .

(التجار يخرجون)

المشهد الثالث

الحاكم ، انا اندرييفنا ، ماريا انطونوفنا ،
القاضي ، مدير الملجأ ، رستاكوفسكي .

القاضي : هل النبأ صحيح يا انطون انطونوفيتش ؟ يتردد ان قد اصابتك سعادة منقطعة النظير .

المدير : لي الشرف ان اقدم اليك تهاني لهذه السعادة المنقطعة النظير.
(مقبلاً يد انا اندرييفنا ثم ماريا انطونوفنا) انا اندرييفنا !.. ماريا انطونوفنا ! ..

رستاكوفسكي : انطون انطونوفيتش ، اقدم اليك تهاني ! مد الله في عمرك وعمر الزوجين الجديدين ، وليهبك المولى ذرية عديدة من الاحفاد واحفاد الاحفاد. انا اندرييفنا... ماريا انطونوفنا ... (يقبل يديهما)

•

المشهد الرابع

نفس الاشخاص ، كوروبكين ،زوجة كوروبكين
لولو كوف

كوروبكين : لي الشرف ان اقـــدم اليك تهانيّ ، يا انطون انطونوفيتش . انا اندرييفنا ... ماريا انطونوفنا ... (تقبّيل ايدي)

زوجة كوروبكين : اهنئك اخلص تهنئة يا انا اندرييفنا على هذا السعد الجديد .

لولو كوف : لي الشرف بان اهنئك يا انا اندرييفنا . (يقبل يدها ، ثم يلتفت الى النظارة فيفرقـــع لسانه كما يفعل الفرسان) ماريا انطونوفنا ! (يقبل يدها ممثلًا الدور نفسه)

المشهد الخامس

نفس الاشخاص ، بوبتشنسكي ، دوبتشنسكي

(يدخل عدد كبير من الاشخاص بالريدنكوت وثيـــاب المناسبات والاعياد فيسيرون بانتظام الى أنا اندرييفنا فيقبلون يدها قائلين : « أنا اندرييفنا » ، ثم يقبلون يد ماريا انطونوفنا قائلين : « ماريا انطونوفنا » . يتدافع بوبتشنسكي ودوبتشنسكي ليقـــدم كل نفسه قبل الآخر)

بوبتشنسكي : لي الشرف بان اقدم اليك تهاني .. .

دوبتشنسكي : انطون انطونوفيتش ، لي الشرف بان اقـــدم اليك تهاني .. .

بوبتشنسكي : .. في هذه المناسبة السعيدة .

دوبتشنسكي : أنا اندرييفنا .. .

بوبتشنسكي : أنا اندرييفنا .. (يتقدم الاثنان في ذات الوقت ليقبلا يدها فتتصادم جبهتاهما .)

دوبتشنسكي : ماريا انطونوفنا ! (يقبل يدها) لي الشرف بان اقدم اليك تهاني . ستنقلب بك الحال الى سعادة بالغة ، جد بالغة . وسترتدين اثواباً من الذهب وتطعمين حساء

لذيذاً من كل الاصناف. وستقضين وقتك بالهناء والسرور.

بوبتشنسكي (مقاطعاً اياه) : ماريا انطونوفنا ، لي الشرف بان اقدم اليك تهاني . وارجو الله ان يرزقك كل انواع الثراء ، وكثيراً من الليرات ، وصبياً صغيراً بهذا الطول ، يحمل في راحة اليـــد ، ويزعق بكل لطافة : أووا ! أووا ! أووا !

المشهد السادس

نفس الاشخاص ، العميد وزوجه

(وصول زوار جدد . متابعة تقبيل الايدي)

العميد : لي الشرف ...

زوج العميد (تلقي بنفسها بين ذراعي أنا) : اهنئك يا انا اندريبفنا . (تقبل احداهما الاخرى) هاه ! يالسرور الذي اصابني اذ تلقيت ذاك النبأ . قيل لي : انا اندريبفنا ستزوج ابنتها . — فقلت لنفسي : آه ! يا إلهي ، هذا نبأ يبهجني اشد البهجة ! وقلت لزوجي إسمع يا لوكانتشيك ، انها لسعادة بالغة تصيب انا اندريبفنا ! وقلت لنفسي : آه! احمدك يا إلهي . وقلت له : ان سعادتي بالغة اوجها وانا متحرقة شوقاً لزيارة انااندريبفنا وابلاغهاذلك شخصياً... وقلت لنفسي : آه ! يا الهي ، كم كانت انا اندريبفنا تتمنى لابنتها قسمة حسنة ، وها قد اتاها حظ كهذا الحظ ... هذا بالضبط ما كانت تود . انا سعيدة الى درجة لااعرف كيف اعبر بها عما في نفسي . فأبكي فرحاً ، أبكي ، حقاً . ان فرحي ليستثيرني للبكاء . ويقول لي لوكا لوكيتش : لم اذن تبكين يا ناستنكا ؟ — فأجيبه : لااعلم يا لوكانتشيك ،

غير ان الدمع يسيل مني كالماء من النبع ...

الحاكم : اتوسل اليكم ايها السادة ان تجشموا انفسكم مشقة الجلوس. هيه يا ميشكا ! ايتِ الى هنا بكراسي اخرى . (الجميع يجلسون)

المشهد السابع

السابقون ، مفتش الشرطة ، والجلاوزة

المفتش : لي الشرف بان اقدم تهاني يا حضرة الحاكم ، وبأن ارفع اليك تمنياتي الطيبة لعديد من السنين .

الحاكم : شكراً ، شكراً ! إجلسوا ايها السادة .

القاضي: ولكن ارجوك يا انطون انطونوفيتش ان تذكر لنا الصورة التي حدث عليها هذا كله . احك لنا الامر بالتفصيل .

الحاكم : تفصيل الامر حادث غريب . فقد طلب طلبته بشخصه .

انا : وباكثر الاساليب وقاراً واكثرها تمشياً مع الاصول المتبعة . لقد قال لي باسلوب ممتاز : اصغ الي يا انا اندرييفنا ، فالذي اقدمت عليه ، تعبير عن اعجابي بشخصك . ان الناس لم تر ابداً رجلا اجمل تهذيباً منه ولا ارفع شأناً ولا احق بالتقدم والتزعم . وقد قال لي : انا يا أنا اندرييفنا لا افيم وزناً للحياة باكثر مما اقيم وزناً لكوبيك واحد . وان ما احمله فقط من شديد الاعتبار لصفاتك النادرة ...

ماريا : هيه يا امي الصغيرة ، فلي انا قال ذلك .

انا : اصمتي انت . انك لا تفقهين شيئاً وتتدخلين دوماً فيما لا يعنيك . — لقد قال : أنا يا أنا اندرييفنا في اشد .. وما

كاديتافظ بكلمات المديح هذه ، واذ هممت باجابته اننا لم نؤمل ابداً ببلوغ مثل هذا الشرف ، — حتى رأيته فجأة يسقط على ركبتيه ، وباسلوبه الرفيع يقـــول : أنا اندريفنا ، لا تكوني سبب شقائي . وافقي على مقابلة عواطفي بمثلها ، والا وضع الموت لحياتي حدها الاخير .

ماريا : ولكنه قال ذلك لي انا يا امي الصغيرة .

انا : نعم ، اكيداً لك انت . وانا لا اقول العكس .

الحاكم : ذاك انه جعلنا نخاف ، اذ قال انه يحرق دماغه اذا لم نفعل . — سأحرق دماغي ، سأحرق دماغي ، هكذا كان يقول .

عدة اشخاص من الحضور : حقاً ! أهذا ممكن !

القاضي : يا له من طبع عجيب !

العميد : الواقع ان القدر هو الذي فعل ذلك .

الرئيس : لا تقل القدر ايها الاب الصغير . فالقدر ساذج احمق . فالذي جوزي انما هو استحقاقك . (على حدة) لآلىء تسقط على خنانيص !

القاضي : اسمع يا انطون انطونوفيتش ، انني اوافق على بيعك الكلبة الصغيرة التي كنا في سبيل الحديث في موضوع بيعها وشرائها .

الحاكم : بشكراً . لدي اشياء اخرى افكر فيها غير كلبتك .

القاضي : حسناً ! اذا كنت قد عدلت عنها ، فلنتحدث في امر بيعك كلباً آخر .

زوجة كوروبكين : آه ! كم انا مبتهجة بالسعادة التي تصيبك يا أنا اندرييفنا . لا تستطيعين تصور مبلغ ابتهاجي .

كوروبكين : والآن ، اين هو اذن ذاك الضيف الشهير .؟ لقد قيل لي انه سافر في بعض شأنه . .

الحاكم : اجل، لقد غاب لمدة يوم واحد، بسبب امر بالغ الاهمية.

انا : ذهب الى عمه ، يسأله البركة .

الحاكم : نعم ليسأله البركة ، ولكنه في الغد . . (يعطس)

الجميع (يصيحون دفعة واحدة) : يرحمكم الله !

الحاكم : شكراً ، شكراً ! ولكنه في الغد من المؤكد . . (يعطس) انه سيعود .

الجميع (يصيحون مجدداً) : يرحمكم الله !

المفتش : صحة وعافية ، يا حضرة الحاكم !

بوبتشنسكي : حياة جديدة تدوم مائة عام مع مد من الدنانير!

دوبتشنسكي : ليبعث لك ربنا مئات المئات !

الرئيس (على حدة) : من انواع الحميات !

زوجة كوروبكين (على حدة) : ليقصف الشيطان رقبتك!

الحاكم : شكري المتواضع . اتمنى لكم جميعاً مثلما تمنيتم لي .

انا : لقد ازمعنا على اتخاذ بطرسبورغ مستقراً لنا . فالهواء هنا سيء جداً !.. حقاً ان هذا البلد لفي صميم الريف ... واعترف باني امسيت اشعر بنفور كبير ... وهذا زوجي ... سوف يرفع الى رتبة جنرال .

الحاكم : هذا صحيح ايها السادة ، واعترف لكم به . ليذهب بي الشيطان لفرط ما اتشوق لرتبة جنرال .

العميد : فليقض الله بان تدرك مبتغاك .

راستوفسكي : لا يملك الانسان فعل شيء : الله وحده القادر على كل امر .

القاضي : المركب العظيم ، يمخر عباب البحر العظيم .

الرئيس : اهل الفضل يثابون دوماً على فعالهم .

القاضي (على حدة) : ستنبت للدجاج اسنان واضراس عندما تصبح جنرالا . ان الرتبة تناسبه كما يناسب الخنزير لبس الصدار . اسرعت في التطبيل والتزمير ، ولعلك بلغت من حياتك غاية او بعض غاية ، الا انك لم تصبح جنرالا بعد.

الرئيس (على حدة) : ان مرآه برتبة جنرال ، يجعلني اتمنى لو يذهب بي الشيطان ! هو جنرال ، ولم يكون جنرالا ! لا حاجة به للوقوع في هذه المتاعب ، فحظه يفلق الحجر. (بصوت مرتفع الى الحاكم) وعلى ذلك نرجو الا تنسانا يا انطون انطونوفيتش .

القاضي واذا وقعت بنا واقعة ، كأن يحيق بنا مكروه ، فلا غرو انك تأخذنا تحت حمايتك .

كوروبكين : في العام المقبل ابعث بابني الى العاصمة ليخدم الدولة ، فلا شك انك ستتفضل علينا وعليه بالحماية ، اليس كذلك؟ وستقوم لهذا اليتيم مقام الوالد .

الحاكم : اجل ، اعدك بخدمته .

انا : يا الهي ، انطونشا ، انك لا تكف عن بذل الوعود . فلن يكون لديك قبل كل شيء متسع من الوقت للتفكير في ذلك . كيف يسعك ذلك ، وعلام تحمل نفسك وقر هذه الالتزامات ؟

الحاكم : ولكن يا عزيزتي ، عندما يكون ذلك في الامكان .

انا : في الامكان ! في الامكان ! على كل الاحوال ، لمَ تجعل من نفسك حامياً لكل اولئك السوقة ؟...

زوجة كوروبكين : اتسمعون بمَ تصفنا ؟

بعض الزوار : نعم ، انها ابداً على هذه الصورة . اعرف حق المعرفة . عندما تجلس الى المائدة ، تضع رجليها في ...

المشهد الثامن

السابقون ، مدير البريد

(يدخل مبهور الانفاس ، حاملا في يده رسالة نزعت اختامها)

المدير : ايها السادة ، يا لها من مغامرة عجيبة . فالموظف الذي ظننا ه المفتش العام ، لم يكن هو المفتش العام .

الجميع : كيف ذلك ! ليس هو !

المدير : قطعاً . وقد عرفت ذلك من هذه الرسالة .

الحاكم : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ اية رسالة ؟

المدير : نعم ، رسالة هو كاتبها . فقد حمل الي بعضهم رسالة للبريد. نظرت الى العنوان فرأيت : الى بطرسبورغ ، شارع البريد . مكثت مصعوقاً ، وقلت لنفسي : حسناً ، فقد وجد شيئاً يقوله بحق المصلحة ، وها هو يعلم به السلطة العليا . — فأخذتها وفضضت اختامها ..

الحاكم : كيف ! انت ..

المدير : انا نفسي ، ولا اعلم كيف فعلت . انها قوة فوق الطبيعة تلك التي ساندتني . كنت قد شارفت على ارسال مرسال يحملها .. غير ان حب الاستطلاع تسلط علي الى حد لم يسبق لي شعور بمثله . ابداً ، ابداً ، لا يمكن لانسان

ان يشعر بمثله ، انه فتنة واغواء وحكمة .. بدا لي كأنما اسمع صوتاً يهمس في احدى اذني : - لا تفض الرسالة ! انك تضيّع نفسك، تحرق شخصك . وفي الاذن الثانية ، لا اعلم اي شيطان يوحي الي : فضها ، فضها ، فضها ، هكذا حتى اني عندما لمست الشمع .. شعرت بالنار تسري في عروقي .. وعندما فضضت الاختام ، بالجليد ، اجل ، بالجليد ، اخذت يداي ترتجفان وجعل كل شيء يختلط في ناظري .

الحاكم : كيف تجرأت على فض كتاب لشخص مثل هذا رفعة واقتداراً !

المدير : إيه ! فالانكى من ذلك انه ليس ذا حول ولا اقتدار ، وانه ليس شخصية هامة .

الحاكم : وما يكون اذن في حسابك ؟

المدير : وذمتي انه ليس هذا ولا ذاك . ويعلم الشيطان وحده من يكون .

الحاكم (بغضب) : وكيف لا يكون هذا ولا ذاك . أتتجرأ على ان تصفه بهذا وذاك ، والشيطان يعلم من يكون ! سآمر بسجنك .

المدير : انت ؟

الحاكم : نعم ، انا .

المدير : مهلا ورفقاً .

الحاكم : اتعلم انه سيتزوج من ابنتي ، واني سأكون شخصية مرموقة ، واني قادر على ارسالك الى سيبيريا ...

المدير : اوه ! سيبيريا! انطون انطونوفيتش! سيبيريا بعيدة . ارهف سمعك لما سأقرأ لك ، فذلك خير لك واجدى . ايها السادة ، اسمحوا لي بأن اقرأ لكم هذا الكتاب .

الجميع : اقرأ ، اقرأ .

المدير (يقرأ) : « ابادر يا عزيزي تريابتشكين ، باعلامك نبأ المغامرات العجيبة التي جرت لي . ففي الطريق ، شلحني رئيس في سلاح المشاة آخر فلس املك ، حتى ان صاحب الفندق اراد وضعي في السجن ، بسبب افتقاري للنقود ، عندما اخذتني المدينة كلها بسبب معالمي البطرسبورغية ولباسي ، على اني معتمد من معتمدي الدولة في جولة تفتيشية . هكذا اضحيت الآن نزيلا على الحاكم ، يتمنى لي كل من في البيت اية خدمة ، واحوم صباح مساء حول زوجه وابنته . غير اني لا اركن الى قرار لمعرفة بايهما أبدأ . واعتقد اني سأبدأ بالوالدة ، لانها تبدو مستعدة لأي شيء . انذكر حظنا العاثر ، وكيف كنا نتعشى بلا مقابل ، وكيف ان احد بائعي الفطائر امسك بي من ياقتي بصدد بعض القطائف الصغيرة التي طعمناها على حساب ملك بروسيا . ان مغامرتي تختلف هذه المرة كل الاختلاف عن تلك . فكل يسرع لاقراضي ما يلزمني من المال . انهم شذاذ عجيبة امورهم ، يضحكونك حتى

الموت . انت تكتب المقالات، فهذه وجوه في خدمتك.
وقبل كل شيء الحاكم : انه بليد كالحمار الأبرش ...

الحاكم : هذا محال . هذا غير موجود .

المدير : اقرأ بنفسك ...

الحاكم (قارئاً) : « كالحمار الابرش ... » هـذا محال ، انت الذي كتبت ذاك .

المدير : من ، انا اكتب ذاك !

الرئيس : اقرأ .

العميد : اقرأ .

المدير (قارئاً) : « الحاكم ... انه بليد كالحمار الابرش ... »

الحاكم : ليذهب به الشيطان ، انه يعيد ويبدىء ، كما لو كانت الاعادة لازمة ضرورية .

المدير (قارئاً) : هم .. هم .. هم .. « الحمار الابرش . ومدير البريد رجل طيب ... » آه ! انه يصفني اوصافاً لاتليق

الحاكم : تابع القراءة .

المدير : هوه ! ولم اقرأ ؟

الحاكم : ولكن ، ليذهب بك الشيطان ! عندما نقرأ ، نقرأ . إقرأ كل شيء .

الرئيس (آخذاً الرسالة) : اسمحوا لي بان اتابع . (يضع نظارتيه ويقرأ) « ومدير البريد يشبه تمام الشبه ميخيف ، صبي المكتب . ولا اشك في انه سافل مثله يتعاطى المخـدرات . »

المدير : يا له من فاسق يستحق الجلد ! ألم يبق شيء ؟

الرئيس (قارئا) : « ورئيس ملاجىء الاحسـ... » بر ...
بر .. بر ..

كوروبكين : لم تتوقف ؟

الرئيس : الكتابة غير مقروءة ... هذا دليل على ان الموضوع رديء .

كوروبكين : اعطني الرسالة. اظن ان عيوني افضل من عيونك.

الرئيس (قابضا عنه الرسالة) : لا ، يمكننا تجاوز ذاك المقطع . والباقي يقرأ بسهولة .

كوروبكين : لا ، اسمح ، فسأقرأ جيداً ..

الرئيس : وانا ايضاً ، أقرأ جيداً . ما بعد هذا مقروء تماماً .

المدير : لا ، اقرأوا كل شيء . فقـــد قرأنا حتى الآن كل ما كتب قبلا .

الجميع : اعطه الرسالة يا آرتيمي فيليبوفيتش . اقرأهـــا يا كوروبكين .

الرئيس (وهو يناوله الرسالة) : لا بأس . خـــذ ... اسمع . (يضع اصبعه على سطر) من هنا يجب ان تقرأ .

المدير : اقرأوا كل شيء ! ويحكم، اقرأوا كل شيء .

كوروبكين (قارئاً) : « رئيس ملاجىء الاحسان، زمليانيكا، خنزير ذو قبعة مربعة »

الرئيس : هذا كلام لا معنى له . خنزير ذو قبعة مربعة ! من منكم شاهد في حياته خنزيراً ذا قبعة مربعة !

كوروبكين (قارئاً) : « وعميد الكلية مزبلة ثوم .»

العميد : يا الهي ! وانا الذي لا آكل الثوم قط .

القاضي (على حدة) : احمد الله على انه ليس لي ذكر .

كوروبكين (قارئاً) : « والقاضي ... »

القاضي (على حدة) : امسك . (عالياً) ايها السادة ، يبدو ان الرسالة طويلة بعض الشيء ، وفي رأيي ان قراءة كل هذه الحماقات امر ممل حقاً .

الرئيس : لا ، لا .

المدير : لا ، تابع القراءة .

كوروبكين (قارئاً) : « والقاضي لبابكين – تيابكين هو من آخر mauvais ton (١) . هذه لا شك عبارة فرنسية.

القاضي : الشيطان يعلم ما يعني . وانا في خير اذا كان ذلك لا يعني سوى سافل . وقد يكون كلاماً أسوأ .

كوروبكين (قارئاً) : « وفيما عدا ذلك فهؤلاء جميعهم قوم كرام طيبون . الوداع يا عزيزي تربابتشكين . اريد ان اقتفي اثرك ، وادخل عالم الادب. اذ يضجر الانسان يا صاحبي عندما يطول به العيش على هذه الصورة ، ويتطلع الى غذاء جديد . وارى من واجبي ان اقذف بنفسي في الامور العاليات . كاتبني الى حكومة ساراتوف ، وهناك الى قصر بودكا تيلوفكا . » (يقلب الرسالة ويقرأ العنوان) « حضرة السيد م . ايفان

---

(١) هاتان الكلمتان موجودتان في النسخة الاصلية .

فاسيليفيتش تريابتشكين ، سان بطرسبورغ ، شارع البريد ، رقم ٩٧ ، في الطابق الثالث الى اليمين »

سيدة : يا لها من نهاية غير منتظرة !

الحاكم : اولاء هم قد نحروني ... نحروني ! لقد قتلت ! قتلوني ! لا ارى شيئاً . لا ارى سوى خراطيم خنازير بدلا من الوجوه ... يجب اللحاق به والقبض عليه ، يجب القبض عليه .

المدير : كيف نلحق به ! وانا الذي اوصيت باعطائه افضل الخيل . الشيطان هو الذي اوحى الي بهذه الفكرة اللعينة .

زوجة كوروبكين : حقاً ان هذه بلبلة ليس لها مثيل .

القاضي : وهل تعلمون يا سادة — وليذهب بي الشيطان — انه قد اقترض مني ايضاً ثلاثمائة روبل .

المدير : هيهات ، ومني انا ايضاً ثلاثمائة روبل .

بوبتشنسكي : ومنا نحن ، انا وبيتر ايفانوفيتش خمساً وستين عداً ونقداً . نعم .

القاضي (شابكا يديه بحركة تدل على الدهشة) : ولكن كيف جرى ذلك ايها السادة ، كيف ترى سلمناه ذقوننا على هذه الصورة .

الحاكم (ضاربا نفسه) : وانا ، انا ! انا الاحمق العجوز ! كيف فعلت ذلك ؟ يالي من خروف عجوز ، لقد جعلتني السن بليداً ... منذ ثلاثين سنة وانا موظف : وحتى الآن لم يستطع تاجر ولا موّان ان يلعب عليّ . لقد ضحكت من

اكبر ذقن ، ومرّ بي خبثاء وشياطين كانوا يمشّون الناس جميعاً ، فلعنّتهم على اصابعي . لقد خدعت ثلاثة من معتمدي الدولة .. معتمدين !.. انهم رجال ذوو مكانة مع ذلك ، المعتمدون ...

انا : ولكن هذا كله محال يا انطونشا . فهو خطيب الصغيرة..

الحاكم (وقد استبد به الغضب) : خطيب ! الاترين انه خدعنا ثانية ! لقد طفـــح كيلي من خطبتك ! (بدهشة) لا ، تعالوا جميعاً ، الدنيا كلها ، المسيحية كلها ، تعالوا لمشاهدة حاكم قد رُذّل ! نادوه ايها البليد ! ايها المحتال البليد العجوز . (يضرب نفسه بقبضته) آه ! ايهـــا الاحمق الكبير ، يا من تأخذ صبياً مفلساً على انه رجل ذو اهمية ! وفي هذه الاثناء ، هوذا رجلك على الطريق تدندن جلاجله ! سيقص الحكاية على الملأ اجمع .. سأضحي انا الامثولة ، ضحكة العموم ، والاسوأ ، ان بعض مخربشي الورق ، بعض المتسكعين من رجال الادب قد يكتب في رواية هزلية . آه ! هوذا الرجل المخيف .. فهو لا يحسب حساب الرتبة ولا الوظيفة ، وقد يجد حمقى من الناس يكشرون عن اسنانهم ويصفقون . مم تضحكون ؟ من انفسكم تضحكون . آه ! انكم .. (ضاربا بقدمه .) آه ليتني اقبض على جميع مخربشي الورق هؤلاء ! آه ! ويح اولئك الكويتبيين ، اولئك الاحرار اللعينين ، ويحك يا ذرية الشيطان ! لو وقعوا في يدي لوضعتهم لكم جميعا في كيس ،

وهرستهم الى ان يستحيلوا الى غبار ، والى الشيطان ابعث بما يبقى فيه . (يحرك قبضتيه ويركل برجله بغضب هائل . وبعد برهة سكون) لا اكاد أعي بعدُ ما وقع ! غير ان الصحيح ان الله عندما يبغي ايقاع العقاب بنا يبدأ باضاعة فهمنا للاشياء على وجهها الصحيح . ولكن بم كان هذا الطائش يشبه مفتشاً ؟ هو !.. لقد كان اشبه بطاحونة هواء . وقد جعلوا جميعا يرددون : مفتش عام ! مفتش عام ! تعالوا نبحث عن اول من فكر بالقول انه مفتش عام . اجيبوا .

الوئيس : اريد لو اشنق ان كنت اعلم كيف ذلك . لقد غشي على سمعنا جميعا والابصار ، والشيطان هو الذي لعب بنا .

القاضي : من قال ذلك اولا ؟ اسمعوا ، ذانك هما اللذان قالاه اولا . انهما هذان البطلان الهمامان . (يشير الى بوبتشنسكي ودوبتشنسكي)

بوبتشنسكي : يا الهي ! يا الهي ! ما كنت اعلم ...

دوبتشنسكي : والله العظيم ، لم اقل ...

الوئيس : انكما البادئان على كل حال .

العميد : الويل لهما ! لقد تراكضا كالمجانين وهما خارجان من الفندق : لقد وصل ، ها هوذا ! انه لا يدفع !.. لقد وقعتما على عصفور نادر جميل !

الحاكم : هذه فعالكما دوما . ايها الافاكان اللعينان ، ايها الساعيان بالهذر وسقط الكلام !

الرئيس : فليذهب بكما الشيطان وبمفتشكما العام وبقصصكما الخيالية !

الحاكم : انهما حيوانان دأبهما التجوال في انحاء المدينة ، وازعاج الناس ، واذاعة الاكاذيب ، يا لهما من غرابين عجوزين منتوفي الذنب !..

القاضي : دجالان لعينان !

العميد : فرخان مربوطان !

الرئيس : حماران محملان !

بوبتشنسكي : لا ، لا ! لست انا المذنب ، انه بيتر ايفانوفيتش.

دوبتشنسكي : لا ، لا ، انت يا بيتر ايفانوفيتش الذي بدأت..

بوبتشنسكي : ولكن لا . انت الذي ذكرت ذلك اولا .

المشهد التاسع

السابقون ، دركي

الدركي : يُرجى منكم ان تتفضلوا في الحال لزيارة حضرة المفتش العام الذي وصل في مهمة من بطرسبورغ . لقد حل في الفندق . (تصعقهم جميعاً هذه الكلمات كما لو كانت طلقة رعد . تصدر من افواه جميع النساء صرخة اندهاش . لوحة عامة يبدو فيها الجميع كأنما اصيبوا بالتحجّر)

●

مشهد صامت

في الوسط، الحاكم ، ثابت كالوتد ، ذراعاه ممدودان ورأسه معقوص الى وراء . الى يمينه زوجه وابنته تتوجهان نحوه بحركة يشارك فيها الجسد كله . يقف خلفهما مدير البريد وقد استدار الى النظارة مشيراً اشارة استفهام . وخلفه العميد في وضع اندهاش ساذج ، وفي ذات الجزء من المسرح تجتمع ثلاث نساء معاً ، وهن يتأملن في تعبير ملؤه النكاية حال عائلة الحاكم . الى يسار الحاكم ، زمليانيكا وقد احنى الرأس الى جانب كما لو كان يرهف السمع الى شيء . الى جانبه الحاكم مادا ذراعيه ، حتى ليكاد يلمس الارض ومحركا شفتيه كما لو كان يصفر او يلفظ : عجباً ، « يا جدتي ، هذا يوم القديس جورج » . بعده كوروبكين متوجهاً نحو النظارة ، مغلقاً عيناً ومشيراً الى الحاكم بتعبير كله خبث . من ذات الجهة من المسرح ، بوبتشنسكي ودوبتشنسكي وقد مد كل منهما يده نحو الآخر ، الفم منهما مفتوح وينظران الى بعضهما بعيون محملقة . الاشخاص الباقون يمكثون دونما حركة كأنما قدوا من حجارة . تحافظ المجموعة في جمودها على نفس الوضع مدة نصف دقيقة . تهبط الستارة .

— نهاية الفصل الخامس —

(تمت)

طبع هـذا الكتاب
في مطبعة النجاح
بيروت في اوائل
آذار
١٩٥٤

اخطاء وتصويبها

وقعت اخطاء مطبعية عديدة نقتصر هنا على تعداد اهمهـا :

الصفحة	السطر	الخطأ	التصويب
١٧	٢	تتير	تغير
٢٢	١٣	يتوافى	يتوانى
٢٥	١٥	يقمم	يقحم
٣٣	٦	جملة ناقصة	ماذا حدث ؟
٣٧	٩	اخانني	اخافني
٤٠	١٤	وانني	وأتني
٤٢	٧	فكيف	فكيف حالنا ؟
٤٣	٢١	تُبق	تُبن
٤٣	٢٢	ان ننسى	الا ننسى
٤٥	٦	ابتداء من كلمة «انطون»	بقية لما سبق
٤٨	٩	الطلاب	الكلاب
»	١٩	F.F.F.	مغر حقاً !
»	»	يحفر	يهز
٤٩	١٤	البنكال	البنطال
٥١	٧	انه	انه مقلوب
٥٤	١٥	اليه	تحذف

الصفحة	السطر	الخطأ	التصويب
٥٦	٥	لاستعادة ثقة البزار	للعودة الى البيت
»	١٥	نعظ	فقط
٦١	٤	الى	الا
٦٥	١٣	دولار	روبل
»	١٨	»	»
٦٧	١٨	يفرقنا	يغرقنا
٧٤	١١	وليس	وليس من
٨٠	٧	انه	انه لا
٨٢	الاخير	ولكن	ولا
٩١	١٧	حلل	خلل
١٠٤	١٢	الذي	الذي اعتبر
»	١٦	اسماؤها	اساؤوها
١٠٦	١٢	قضا غسساً	قفا عسسا
١١١	١١	أشفق	أشغف
١٢٠	١٤	بكليتي	واعمل بكليتي على
١٢٩	٤	سيحقق	سيحنق

DATE DUE

JAFET LIB.
24 APR 2007
Circulation Dept. 2

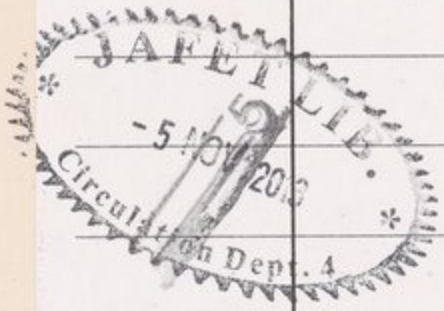
JAFET LIB.
Circulation Dept. 4

891.72:G42mAd:c.1
دهني، صلاح
المفتش العام
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01032236